إرشاد العباد إلى بطلان التوسل والاستمداد

أ.د/ زكي بن محمد أبو سريع

الأستاذ بكلية أصول الدين
قسم القرآن الكريم وعلومه
بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

دار الحضارة للنشر والتوزيع

الطبعة الأولى

ح دار الحضارة للنشر والتوزيع، ١٤٣٠هـ
فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر
فرغلي، زكي محمد
إرشاد العباد إلى بطلان التوسل والاستمداد./ زكي محمد فرغلي. - الرياض١٤٣٠هـ
٠٠ص ؛ ٠٠ سم
ردمك: ٤-٥٧٢-٥١-٩٩٦٠-٩٧٨
١- التوسل أ- العنوان
ديوي ٢٤٠ ١٤٣٠/٣٧٢٢

رقم الإيداع: ١٤٣٠/٣٧٢٢هـ
ردمك: ٤-٥٧٢-٥١-٩٩٦٠-٩٧٨

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى
١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م

دار الحضارة للنشر والتوزيع
ص.ب ١٠٢٨٢٣ الرياض ١١٦٨٥
هـاتف: ٢٤٩٦٥٥٥ - ٢٧٨٧٣٣٣ فاكس: ٢٤٨٣٠٠٤
المستودع تلفون: ٢٤١٦١٣٩ فاكس: ٢٤٢٢٥٢٨
الرقم الموحد: ٩٢٠٠٠٠٩٠٨

بسم الله الرحمن الرحيم

تحميل كتب و رسائل علمية
قناة عامة
معلومات
t.me/tahmilkutubwarosaililmiyah
رابط الدعوة
الإشعارات
معطّلة

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد الخلق أجمعين، وإمام الموحدين محمد بن عبدالله وعلى آله وصحبه ومن سلك سبيلهم إلى يوم الدين .. وبعد:

فإن الله جلت حكمته وعز شأنه وعلا سلطانه قد بعث محمداً – صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم – بالملة المحمدية والشريعة الإسلامية ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا ضال هالك.

وقد قام النبي الخاتم – صلوات الله وسلامه عليه – بتبليغ الرسالة خير تبليغ، وأقام الحجة على الثقلين حتى لم يبق عذر لمعتذر، ولا شبهة لأحد من العقلاء قال عز وجل: ﴿ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَ ﴾ (١).

ولا يخفى على مسلم أن الله غالب على أمره وأن مَنْ أراد الله إضلالهم – لما اكتسبوه بقلوبهم وأعمالهم – لا تثمر فيهم دعوة الدعاة؛ مهما بذلوا الأسباب، وأخلصوا نواياهم، قال عز شأنه: ﴿ مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيًّا مُّرْشِدًا ﴾ (٢)، وقال جل وعلا: ﴿ وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكْرِمٍ ﴾ (٣).

---

(١) سورة الأنعام، الآية: ١٩.

(٢) سورة الكهف، الآية: ١٧.

(٣) سورة الحج، الآية: ١٨.

وإذا كانت محبة المال في جبلة المخلوقين .. قال عز شأنه: ﴿ وَتُحِبُّونَ ٱلْمَالَ حُبًّا جَمًّا ﴿٢٠﴾ ﴾ [١]، وقال تعالى: ﴿ وَإِنَّهُۥ لِحُبِّ ٱلْخَيْرِ لَشَدِيدٌ ﴾ [٢].

والإنسان لا يفتر من جمعه وطرق تحصيله والتفنن في استثماره والاستزادة منه .. إلا أنه لا يُعاب هؤلاء لو أنهم اتخذوا المال وسائل وليست غايات، وسائل للوصول إلى مرضاة رب الأرباب بإنفاقه في وجوه الخير ما استطاعوا إلى ذلك سبيلا.

والدين الحق أولى بهذا التفكير المستمر للتمييز بين خبيث المرويات وطيبها، حتى تكون عقيدة المرء صحيحة ولا يتخذ المسلمون مع الله أنداداً.

فكم من آدمي لبَّس عليه الشيطان أمر دينه، فخلط حقاً بباطل، وخيراً بشر، ولم يكتف بهذا كله، بل صار يدعو إلى الشرك وما يؤدي إليه، وهو متوهم أنه من أعلام الدعاة، محب للدعوة والمدعوين، يقول الحق سبحانه وتعالى: ﴿ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِٱلْأَخْسَرِينَ أَعْمَٰلًا ﴿١٠٣﴾ ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٠٤﴾ ﴾ [٣]. وقال عز من قائل: ﴿ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴿١٠٦﴾ ﴾ [٤].

والشيخ عبدالهادي محمد الخرسة إمام مسجد السنانية بدمشق ألف رسالة بعنوان: «الإسعاد في جواز التوسل والاستمداد» وهي عبارة عن ٨٠ صفحة من القطع المتوسط، وقامت بطباعتها: دار فجر العروبة للطباعة والنشر والتوزيع «دمشق – تجهيز – شارع البرازيل».

---

(١) سورة الفجر، الآية: ٢٠.

(٢) سورة العاديات، الآية: ٨.

(٣) سورة الكهف، الآيتان: ١٠٣، ١٠٤.

(٤) سورة يوسف، الآية: ١٠٦.

وقد أهداني أحد المحبين للإسلام الغيورين عليه نسخة من هذه الرسالة فقرأتها ووقفت على ما فيها وعزمت على الرد على ما ورد فيها من مخالفات اختلط الحق فيها بالباطل.

ومن المسلمات المأثورة عند المسلمين: «كل منا يؤخذ منه ويُرد عليه إلا المعصوم ﷺ»، ومحبة المسلمين واجبة – في نطاق الإسلام – لكن محبة الحق أوجب وأقوى وتقديمها على ما سواها من شعب الإيمان.

وقد جاء الحديث الصحيح عن النبي ﷺ في قوله: «**ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان: أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا الله، وأن يكره أن يعود إلى الكفر بعد إذ أنقذه الله منه كما يكره أن يقذف في النار**» (١).

ووقوع الشيخ عبدالهادي فيما وقع فيه لأمرين:

أحدهما: أنه اتخذ غاية منذ البداية – وهي محبة التوسل المشروع وغير المشروع ثم راح يبحث عن أدلة يستند إليها فيما ذهب إليه.

ثانيهما: أن انطلاقه من غاية معينة يسعى سعياً حثيثاً لإثباتها وتقويتها، جعله يشرح النصوص شرحاً فيه جرأة على جناب التوحيد، كما أن أهل الحق لم يسلموا من لسانه بأن اتهمهم بأنهم أدعياء علم، وأنهم يخرقون الإجماع .. إلخ.

وقد شرعت في الرد على الرسالة المذكورة نصراً للحق، ودمغاً للباطل، ومحبة للشيخ المؤلف حتى لا يتنكب الطريق المستقيم، وسميت هذا الرد:

---

(١) صحيح البخاري، كتاب الإيمان. ح٢١، ٦٠٤١، مسلم ٤٣، سنه النسائي: ٨/ ٩٦، سنه ابن ماجة ح٤٠٣٣، المسند: ٣/ ١٧٢، صحيح ابن حبان ٢٣٧، من حديث أنس.

«إرشاد العباد إلى بطلان التوسل والاستمداد».

ومن البواعث على ذلك: أن عدة أرحام تجمعنا: رحم الإسلام، ورحم العلم، ورحم العروبة البعيدة عن التعصب الجاهلي، وهي آنذاك من أقوى أسلحة الدعوة الإسلامية.

والله وحده القائم على كل نفس بما كسبت، والقادر على أن يردنا جميعاً إلى الإسلام والعمل تحت راية التوحيد بصدق وإخلاص ﴿ وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ بِعَزِيزٍ ﴿١٧﴾ ﴾ (١).

أقول كما قال نبي الله شعيب – عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام: ﴿ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا ٱلْإِصْلَٰحَ مَا ٱسْتَطَعْتُ ۚ وَمَا تَوْفِيقِىٓ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴾ (٢).

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم وبارك على سيد الأولين والآخرين وعلى آله وصحبه ومن سار على نهجهم إلى يوم الدين.

كتبه العبد المفتقر إلى عفو مولاه المقتدر

زكي محمد أبو سريع

عميد معهد إعداد الدعاة بالجمعية الشرعية بالقاهرة سابقاً

والأستاذ الدكتور بكلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنين

- جامعة الأزهـــر -

(١) سورة فاطر، الآية: ١٧.

(٢) سورة هود، الآية: ٨٨.

في صفحة الإهداء صـ٣ في يقول المؤلف: إلى الباحثين عن الحقيقة بتجرد وإنصاف إلى الذين يحبون الاتباع ويكرهون الابتداع إلى طلاب العلوم الشرعية في المعاهد والجامعات أقدم هذا الكتاب.

وأقول: لا ينبغي أن يقدم أحدنا لطلاب العلوم الشرعية المسائل مغلوطة قد اختلط فيها الحق بالباطل، والسنة بالبدعة؛ لأنهم أمانة في أعناق المعلمين. والدين الإسلامي لا بد أن يكون أتباعه سائرين على المنهج الحق والصراط المستقيم، قال تعالى: ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾ ﴾[1].

وقد صح عن النبي ﷺ قوله: «**الدين النصيحة**» فقلنا لمن يا رسول الله؟ فقال: «**لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم**».

فالنصح لله: أن يخلص أحدنا في طاعته ويحبه، وأن يخصه بالعبادة والاستعانة: ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿٥﴾ ﴾[2].

والنصح لكتابه: أن يأتمر بأوامره، وينتهي بنواهيه.

والنصح لرسوله ﷺ أن يحبه المرء أكثر من محبته لسائر الخلق، وأن يتمسك بسنته وأن يتخذه قدوة: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾ ﴾[3].

والنصح لأئمة المسلمين: أن يتغاضى المرء عن زلاتهم، وأن يطيعهم في

---

(١) سورة يوسف، الآية: ١٠٨.

(٢) سورة الفاتحة، الآية: ٥.

(٣) سورة الأحزاب، الآية: ٢١.

غير معصية، وأن يسأل الله لهم التوفيق وإن وقعوا في خطأ أن يذكرهم بالحق بعيداً عن الخلق.

والنصح لعامة المؤمنين: أن يعلم جاهلهم، وأن يحب الخير لهم كما يحبه لنفسه، وأن يأمرهم بالمعروف - بالتي هي أحسن - وأن ينهاهم عن المنكر - من غير إساءة - قال جل وعلا: ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١٢٥﴾﴾[1].

***

(١) سورة النحل، الآية: ١٢٥.

بين يدي الكتاب

وفي صفحة ٥ يقول المؤلف: أما بعد فإن جميع الأئمة المجتهدين من السلف الصالح في القرون الثلاثة الأولى وأتباعهم من العلماء والأولياء مجمعون على جواز التوسل إلى الله تعالى بأسمائه وصفاته، وبصالح العمل الذي أخلص فيه صاحبه لله تعالى وابتغى به وجهه الكريم.

واجمعوا أيضاً على جواز التوسل إليه سبحانه بجاه أنبيائه وأوليائه، وبما اختصهم الله تعالى به من النبوة والولاية. ولم يخالف في جواز ذلك أحد ممن يقتدى بهم من الأئمة والعلماء، وشذ عن ذلك بعضهم من المسلمين من أدعياء العلم والحديث، ولا يُعتد بقولهم ولا يُلتفت إليه بل يُضرب به عرض الحائط؛ لأنه مخالف للأدلة من الكتاب والسنة والإجماع.

وأقول: مَنْ الذين أجمعوا؟ حتى يستوثق المسلمون من صحة نقل هذا الإجماع. وإذا جاز التوسل بجاه الأنبياء – عليهم الصلاة السلام – فمن الذي قرن بهم الأولياء – رحمهم الله تعالى؟

ولا يخفى على عاقل دارس منصف: أن الأمور الشرعية لا تؤخذ بالقياس لأنه نوع من الاجتهاد، ولا اجتهاد مع النص كما أخبر علماء الأصول – رحمة الله تعالى عليهم.

والمتوسل بالأنبياء – عليهم السلام – إن كان في حياتهم – فلا بأس به، وهو وارد عن النبي ﷺ في صلوات الاستسقاء والجنازة والعيد وغيرها.

وإذا كان التوسل بهم بعد وفاتهم فهو مفروض، إذ لو كان جائزاً شرعاً، لتحقق ذلك منهم، ونقل عنهم لقيام المقتضى، ولكان النقل مشهوراً متواتراً لدواعي ذلك.

ولما لم ينقل شيء من هذا كله، بل ثبت عكسه، فقد بطلت دعوى الشيخ وثبت أنه لا أساس لها من الدين.

وفي ص٦: يقول المؤلف: وقد ذكر العلماء والأئمة جواز التوسل وأدلته في الكتب الفقهية على أنه مسألة من مسائل الفقه إلى أن ظهرت فرقة من المبتدعة في العقائد – اقتدوا بسلفهم من المعتزلة والكرامية والمجسمة والمشبهة، فأدخلوا مسألة التوسل في مباحث العقيدة، وكفروا أئمة المسلمين من أهل الحق الأشاعرة والماتريدية وأتباعهم من العلماء، وفَسَّقوا وبَدَّعوا الأمة الإسلامية المتبعة للأئمة من السلف الصالح، واعتبروا أنفسهم الفرقة الناجية، وحكموا على بقية المسلمين أنهم من أهل النار.

وَتَسَتَّر هؤلاء الأدعياء للعلم تارة، وللحديث تارة أخرى خلف شعار «الكتاب والسنة» ولبَّسوا على جهلة الناس وعوامهم دعوتهم فأظهروا الحق بمظهر الباطل، والباطل بمظهر الحق، وادعوا السلفية أولاً، والوسطية ثانياً، والتجديد ثالثاً.

وأقول: اتق الله يا شيخ عبدالهادي، وكن دقيقاً في كلامك، أليست مسألة التوسل من باب العقيدة؟ وما تقول في مسألة اللجوء إلى الله تعالى واللجوء إلى واحد من الخلق؟ هل هي مسألة عقدية تقول: إن النافع والضار

والمقدم والمؤخر هو الله جل شأنه ولا يجوز الاختلاف فيها؟ أم هي مسألة فقهية يجوز الاختلاف حولها مثل: مسح الرأس في الوضوء، يجوز فيها المسح كاملاً أو بعضه؟ الجواب معروف!! وأخشى أن يكون قولك: وتستر هؤلاء الأدعياء للعلم، أن يكون قولك مردوداً عليك على حد قول القائل «رمتني بدائها وانسلت».

كما أحب أن أقول لك: إن مصطلح السلفية، والوسطية، والتجديد .. إلخ هذه المصطلحات ليست ملكاً لأحد من الخلق، بل هي متسعة لكل من شرح الله صدره للهداية ورضى الإسلام ديناً وآمن بمحمد ﷺ نبياً ورسولاً واعتقد أن النافع والضار والمقدم والمؤخر هو الله رب العالمين، وأنه الإله المعبود بحق، ولا شريك له في ملكه أو حكمه: قال عز من قائل: ﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾ ﴾ (١).

ويقول المؤلف في صفحة ٧: فتعين على أهل الحق أن يدافعوا عن العقيدة وأصولها وأن يظهروا أدلتهم على أحقيتها، لينفوا عنها تحريف هؤلاء وتأويلهم وغلوهم.

وهذا باب من أعظم أبواب الجهاد في سبيل الله تعالى لما فيه من تثبيت المؤمنين على الحق، ودفع عدوان أهل الباطل، ودمغ أباطيلهم. ولما فيه أيضاً من الحفاظ على البنيان الإسلامي المتراص بعقيدة التوحيد، والذي شيَّده

(١) سورة الكهف، الآية: ١١٠.

الأئمة والعلماء من السلف والخلف والذي يعمل هؤلاء الأدعياء – ليل نهار – على هدمه لبنة لبنة بمعاول التكفير والتفسيق والتبديع للأئمة الأعلام من السلف الصالح.

وكل هذا يقومون به خدمة لأعداء المسلمين الذين يعملون جاهدين في تفريق كلمة المسلمين وإثارة الفتن فيما بينهم.

وأقول: إن المؤلف – غفر الله لنا وله ولسائر المسلمين متحامل على أهل السنة والجماعة، ويتهمهم بما ليس فيهم بل بما في أصحاب الهوى كالصوفية وأصحاب الملل المنحرفة، فهم أصحاب التاريخ الأسود، ومن قرأ التاريخ المعاصر بدقة وتجرد يجد أنهم كانوا عملاء لصالح اليهود والنصارى حتى مكنوهم من نهب خيرات البلاد والعباد، والصوفية ومن سار على نهجهم لاهون في خلواتهم (حضراتهم). وأعداء الدين يفعلون الأفاعيل في حرمات وبلاد المسلمين.

وأي الناس أكثر هدماً للإسلام؟ هل هم أهل التوحيد البعيد عن شوائب الشرك والمعاصي؟ أم هم أصحاب الأهواء والملل الباطلة الذين التبس عليهم أمر الدين ﴿ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ ﴾[1].

يقول المؤلف صـ٧، ٨: وقياماً بواجب بيان الحق، ودمغاً للباطل، ودفعاً

(١) سورة النمل، الآية: ٢٤.

له أدليت بدلوي بين دلاء أهل العلم، وكتبت هذه الرسالة المختصرة ملخصاً لأقوالهم، مع سرد الأدلة والبراهين، من الكتاب والسنة والإجماع، عسى ولعل أن يهدي الله رجلاً ضالاً حائراً يبحث عن الحق بإنصاف وتجرد عن هوى نفسه وعن المال الذي أغرى الكثير من هؤلاء فجعلهم يبيعون آخرتهم من أجل دنياهم، أو من أجل دنيا غيرهم وهذا غاية الحمق والضلال.

وأقول: هذا الكلام أطلقه المؤلف على عواهنه، ويحسبه هيناً وهو عند الله عظيم، ونود إذا كان المؤلف على علم بما يقول: أن يذكر بعض الأشخاص الذين تنطبق عليهم الصفات التي ذكرها حتى يكون الناس على بينة من أمرهم وإلا فهم برءآء حتى تثبت إدانتهم وينبغي أن لا ينسى الشيخ المؤلف قوله تعالى: ﴿ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴾ [١] وقوله جل شأنه: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ ۚ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم ۖ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۚ لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُم مَّا ٱكْتَسَبَ مِنَ ٱلْإِثْمِ ۚ وَٱلَّذِى تَوَلَّىٰ كِبْرَهُۥ مِنْهُمْ لَهُۥ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ [٢].

***

(١) سورة ق، الآية: ١٨.

(٢) سورة النور، الآية: ١١.

ما معنى الاستغاثة والاستعانة؟

وفي صـ٩: يقول المؤلف: «الاستعانة: طلب العبد العون ممن هو قادر عليه بذاته وهو الله تعالى أو ممن خلق الله فيه القدرة على الإعانة وهم عبادُه».

وأقول: إن كان مقصود (المؤلف بكلمة «عباده» الأحياء منهم فهذا مسلم، وإن كان قصده الأموات فهذا غير مسلم، فالرسول ﷺ وهو أفضل الخلق عند الله وعند الخلق لم يتوجه إليه أحد بعد مماته لجلب نفع أو دفع ضر، بل أمره الحق عز وجل أن يقول: ﴿ قُل لَّآ أَمۡلِكُ لِنَفۡسِي نَفۡعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۚ وَلَوۡ كُنتُ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ لَٱسۡتَكۡثَرۡتُ مِنَ ٱلۡخَيۡرِ وَمَا مَسَّنِيَ ٱلسُّوٓءُۚ إِنۡ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٞ وَبَشِيرٞ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ﴿١٨٨﴾ ﴾ [١] وقال عز من قائل: ﴿ وَمَا يَسۡتَوِي ٱلۡأَحۡيَآءُ وَلَا ٱلۡأَمۡوَٰتُۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُسۡمِعُ مَن يَشَآءُۖ وَمَآ أَنتَ بِمُسۡمِعٖ مَّن فِي ٱلۡقُبُورِ ﴿٢٢﴾ ﴾ [٢].

وإذا كان الله جلت قدرته قد نفى إسماع الرسول ﷺ للأموات فمن باب أولى نفي إسماع بقية الخلق للأموات.

وحول تعليق المؤلف على الحديث الذي رواه الترمذي – رحمه الله تعالى – عن ابن عباس – رضي الله عنهما: «**إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله**».

قول النبي ﷺ هذا لابن عباس – رضي الله عنهما – لا يعنى إلغاء

---

(١) سورة الأعراف، الآية: ١٨٨.

(٢) سورة فاطر، الآية: ٢٢.

الأسباب، ولا ينفى سؤالها والطلب منها طلباً لسانياً وإنما معناه والله ورسوله أعلم أنه إذا عرضت لك حاجة فاسألها من الله تعالى قبل توجهك اللساني الظاهر إلى الأسباب التي ترجو أن يكون قضاء تلك الحاجة على أيديها.

وبعد هذا التوجه القلبي لله أن ييسر قضاء حاجتك تلك على أيدي الصالحين من عباده: تتوجه بالطلب اللساني منهم.

وأقول: هذا الكلام جيد، لكنه بحاجة إلى دقة علمية، لأن الصالحين الذين نطلب منهم أن يدعو الله لنا بتحقيق المطالب التي لا يقدر عليها إلا الله تعالى لا بد أن يكونوا أحياءً في هذه الحياة، أما الموتى فلا يجوز بحال أن يتوجه إليهم أحد، مهما كانت منزلتهم عند الله عالية، فإنهم قد انتقلوا من دار العمل ومنه الدعاء والتوسل المشروع وغير المشروع، إلى دار الجزاء وأوله حياة البرزخ والقبر.

فلا علاقة لنا بهم إلا عن طريق الرؤيا الصالحة،وهي لا تبنى عليها الأحكام الشرعية، ولكن يستأنس بها.

والأحياء: هم الذين يدعون للأموات، ويتصدقون عنهم، ويصومون ويحجون ويعتمرون عنهم، ويصلون الرحم التي لا توصل إلا بهم.

وعلى هذا فحديث ربيعة بن كعب الأسلمى، لما قال له النبي ﷺ «**سلني**» لا يقصد الرسول – صلوات الله وسلامه عليه – أنه على الإطلاق ولكن في حدود ما يقدر الرسول ﷺ على تحقيقه وهو لا يضمن الجنة لنفسه، فمن باب أولى، لا يضمنها لغيره، لذا كان جوابه ﷺ: «**أو غير ذلك**»؟

ومما يؤكد ذلك قوله ﷺ: «**... اعملوا وقاربوا وسددوا واعلموا أنه لا**

ينجو أحد منكم بعمله». قالوا: ولا أنت يا رسول الله؟ قال: «**ولا أنا إلا أن يتغمدني الله برحمة منه وفضل**» (١).

ومن فحوى الكلام يفهم منه أنه ﷺ لا يضمن الجنة لأحد فكأنه قال لربيعة – رضي الله عنه – لا أقدر على ذلك.

وغير خاف على عاقل: أن قوله ﷺ لربيعة الأسلمي – رضي الله عنه: «**أعني على نفسك بكثرة السجود**» لا يُفهم منه: أنه وعد من النبي ﷺ لربيعة بالمرافقة في الجنة، ولكنه من باب لفت نظره إلى ما يكون سبباً – بفضل الله – في دخول الجنة – وهو العمل الصالح – خصوصاً الصلاة وما فيها من سجود – وهو أعظم أركانها.

وفي صـ١٩ يقول المؤلف: وقد ثبت توسل أصحابه – رضي الله عنهم – بالنبي ﷺ وكانوا يفزعون إليه في الشدائد وينادونه قائلين «يا رسول الله».

يُفهم من هذه العبارة: أن الصحابة – رضوان الله عليهم – حين تشتد الأمور، لا ملجأ لهم إلا الرسول ﷺ!!!

وعلى افتراض صحة العبارة وسلامتها من شوائب الشرك فإن اتجاههم إلى النبي ﷺ ليس لأنه الغوث والملاذ، بل ليتعلموا منه: ما واجبهم نحو دينهم وخالقهم؟

وهنا سؤال يتوجه إلى المؤلف بعد أن يتلو قول الله تعالى: ﴿ أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾ ﴾ (٢).

---

(١) متفق عليه.

(٢) سورة النمل، الآية: ٦٢.

هل يلجأ المضطر إلى الله – أرحم الراحمين؟ أم يلجأ إلى رسول الله ﷺ؟ نسأل الله الحي القيوم بديع السموات والأرض ذا الجلال والإكرام أن يثبتنا على الدين الحق ويميتنا عليه.

انظر – أخا الإسلام – إلى توجه العبد الصالح يوسف – عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام – إلى الله رب الأرباب وأرحم الراحمين بهذا الدعاء الذي يفيض اضطراراً وتعلقاً بمن يقول للشيء كن فيكون: ﴿ ۞ رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِى مِنَ ٱلْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِى مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ ۚ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَنتَ وَلِيِّۦ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ تَوَفَّنِى مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِى بِٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠١﴾ ﴾ (١).

في مدينة طنطا – إحدى مدن جمهورية مصر الإسلامية – عقد أهل الهوى وطلاب الدنيا مولداً (محفلاً) لصاحب القبر (الضريح) المشهور بأحمد البدوي، وقد انطبق عليهم قول الشاعر:

..... مصائب قوم عند قوم فوائد

يقول أحد العلماء في ذلك الحفل، محارباً ربه، معتدياً على سنة نبيه ﷺ: «نحن في مولد السيد المهاب الذي إذا دُعى في البر والبحر أجاب» يا له من شرك بواح وكفر صريح.

أجعل هذا العالم أحمد البدوي لله نداً؟ ولنا أن نتساءل: ما الشرك إذا لم يكن هذا شركاً؟ ﴿ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ ۚ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا ﴾ (٢)

---

(١) سورة يوسف، الآية: ١٠١.

(٢) سورة الكهف، الآية: ٥.

﴿مَّا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَٰذَا سُبْحَٰنَكَ هَٰذَا بُهْتَٰنٌ عَظِيمٌ﴾ [١].

يقول المؤلف: ص١٩: أخرج البيهقي – رحمه الله تعالى – من طرق في دلائل النبوية (٦/ ١٤٠-١٤٢) عن أنس بن مالك – رضي الله عنه – قال: جاء أعرابي إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، لقد أتيناك ومالنا بعير يئط، [٢] ولا صبى يصيح [٣] وأنشده.

أتيناك والعذارى يُدمى لبانها وقد شغلت أم الصبى عن الطفل
وألقى بكفيه الصبُّى استكانة من الجوع ضعفاً ما يمر ولا يُحْلى
ولا شيء مما يأكل الناس عندنا سوى الحنظل العامي والعلهز الفسل
وليس لنا إلا إليك فرارنا وأين فرار الناس إلا إلى الرسل

فقام رسول الله ﷺ حتى صعد المنبر ثم رفع يديه إلى السماء فقال: «**اللهم اسقنا غيثاً مغيثاً مريئاً غدقاً طبقاً عاجلاً غير رائث، نافعاً غير ضار، تملأ به الضرع، وتنبت به الزرع، وتحي الأرض بعد موتها وكذلك تخرجون**».

«فوالله ما رد يديه إلى نحره حتى ألقت السماء بإبراقها» .. الحديث وفي آخره: فضحك رسول الله ﷺ حتى بدت نواجزه ثم قال: لله در أبي طالب، لو كان حياً قرت عيناه، مَنْ ينشدنا قوله؟ فقام علي بن أبي طالب – رضي الله عنه – فقال: يا رسول الله، كأنك أردت:

وأبيض يستسقي الغمام بوجهه ثمال اليتامى عصمة للأرامل

---

(١) سورة النور، الآية: ١٦.

(٢) أي: لا يستطيع أن يئن من شدة الهزال: لسان العرب (أطط).

(٣) أي: عجز عن الصياح من الضعف والإعياء.

يلوذ به الهُلاَّك من آل هاشم فهم عنده في نعمة وفواضل

قال الحافظ في الفتح ٢/ ٤٩٥: وإسناد حديث أنس هذا وإن كان فيه ضعف، لكنه يصلح للمتابعة. ا. هـ.

وأقول: ما أغنى المسلمين عن بناء مسألة في العقيدة كهذه على حديث ضعيف، ولهم في الأحاديث الصحيحة غُنية، خاصة وأن الأحاديث المقبولة [١] تعد بالألوف؛ لأنها تشمل جميع مناحي الحياة.

إن اللغة العربية ليست تحت رحمة الأهواء يفسرها كل امرئ حسبما يتراءى له، بل هي الوعاء الذي يحتوي أساليب ولغات العرب جميعاً وأمهات كتب اللغة قد عُنيت بمفرداتها وألفاظها وتراكيبها ودلالاتها وأساليب الحقيقة والمجاز.

وآفة القوم أنهم يضعون غايتهم من أول الأمر ثم يبحثون عن شبه يسمونها أدلة يؤكدون بها مزاعمهم ليصلوا إلى غايتهم﴿ وَهَمُّواْ بِمَا لَمْ يَنَالُواْ ﴾ [٢].

١- فسروا عبارة (يستسقى به) على أنها توسل بذاته أو بجاهه ﷺ ولو كان هذا كافياً لما لزم الأعرابي الحضور وتجشم متاعب السفر ولما كان المقصود أن يسأل النبي ﷺ أن يدعو للقوم، لذا حضر وسأله الدعاء فدعا لهم حتى رزقهم الله الغيث الغزير.

---

(١) المراد بالحديث المقبول: الحديث الصحيح بنوعية والحسن بنوعية.

(٢) سورة التوبة، الآية: ٧٤.

٢- كذلك فهموا قول الأعرابي:

وليس لنا إلا إلى إليك فرارنا وأنى فرار الخلق إلا إلى الرسل

فهم أصحاب القلوب المريضة: جواز التعلق بالرسل والأنبياء من هذا البيت وتركوا قوله تعالى: ﴿ فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۖ إِنِّي لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٞ مُّبِينٞ ۝ وَلَا تَجۡعَلُواْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَۖ إِنِّي لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٞ مُّبِينٞ ۝ ﴾ (١).

أما أهل الحق - ثبتهم الله عليه وأيدهم بنصر من عنده فهم يرون أن الفرار إلى الرسل والأنبياء - عليهم الصلاة والسلام - ليطلبوا منهم الدعاء لهم بالغيث وكشف الضر وهم أقرب الخلق إلى الله فيستجيب دعاءهم.

ولو كان المراد التوسل بذواتهم وجاههم لما كان هناك داعٍ إلى سفرهم البعيد، بل كان يكفيهم التوسل بذواتهم وجاههم وهم في ديارهم كما سبق ذكر ذلك آنفاً.

والحديث الذي نحن بصدد ذكره وتوضيح معناه كما يتفق مع فهم أهل السنة له، صحيح المعنى ولكن سنده غير صحيح.

ففي سنده (مسلم الملائي) وهو واه جداً. قال الفلاس: متروك. وقال أحمد لا يكتب حديثه. وقال يحيى: ليس بثقة. وقال البخاري: يتكلمون فيه. وقال يحيى أيضاً: زعموا أنه اختلط. وقال النسائي وغيره: متروك. وقال الذهبي: إنه روى حديث الطائر الذي أهدته أم أيمن لرسول الله ﷺ وحديث الطائر موضوع عند أهل الحديث، وانفرد بتصحيحه الحاكم واعترض على الحاكم أكثر أهل العلم.

---

(١) سورة الذاريات، الآيتان: ٥٠، ٥١.

وعلى هذا فالحديث واهي السند لا يصلح للاحتجاج وإذا كان متنه صحيحاً فهذا على فهم أهل السنة والجماعة، أما على فهم أهل الهوى فإنهم يفسرونه على أنه توسل بالذات وهذا ما يؤدي بهم إلى الشرك والوثنية على المدى البعيد.

نسأل الله جل وعلا أن يردنا إلى الكتاب والسنة رداً جميلاً وأن يثبتنا على الحق ويميتنا عليه بجوده وكرمه .. آمين.

❊❊❊

يقول المؤلف صـ٢١: قال ﷺ: «**إن لله خلقاً خلقهم لحوائج الناس يفزع الناس إليهم في حوائجهم، أولئك الآمنون من عذاب الله**» (١).

فانظر إلى قوله: «يفزع الناس إليهم في حوائجهم» ولم يجعلهم مشركين بل ولا عاصين.

وللجواب عن ذلك نقول: إن المراد بالفزع هنا: اللجوء إليهم يسألونهم الدعاء بآدابه الشرعية، أو يسألونهم شيئاً من المال على سبيل القرض أو على سبيل الصدقة وهذا كله لا غبار عليه.

أما إذا فهم الفزع بأنه اللجوء المصحوب باعتقاد أن هؤلاء الخلق يملكون جلب النفع أو دفع الضر فهذا مرفوض، لذا أمر الله عز وجل نبيه ﷺ أن يقر بأنه لا يملك النفع والضر إلا الله تبارك وتعالى قال عز شأنه: ﴿ قُل لَّآ أَمۡلِكُ لِنَفۡسِي نَفۡعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۚ وَلَوۡ كُنتُ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ لَٱسۡتَكۡثَرۡتُ مِنَ ٱلۡخَيۡرِ وَمَا مَسَّنِيَ ٱلسُّوٓءُۚ إِنۡ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٞ وَبَشِيرٞ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ﴿١٨٨﴾ ﴾ (٢).

يقول المؤلف صـ٢٢: فإن قيل: كان هذا جائزاً في حال حياته لا بعد انتقاله إلى الحياة البرزخية.

فالجواب:

١- إن من اعتقد أن لأحد من الخلق تأثيراً في الحياة ينقطع عنه بانتقاله إلى البرزخ فهو مشرك، فليس لأحد من الخلق تأثير ذاتي ولا قيام له بنفسه، وحولهم وقوتهم بالله تعالى والله تعالى هو يجري على أيدي خلقه ما يشاء من

---

(١) رواه الطبراني بسند حسن.

(٢) سورة الأعراف، الآية: ١٨٨.

المقادير في حال حياتهم الدنيوية، وكذلك الأمر في حال الحياة البرزخية والأخروية.

فلو كان للنبي ﷺ أو لغيره تأثير في حياته – كما توهم بعض القاصرين لصح نفيه عنه بعد انتقاله، ولجاز حينئذ سؤاله ونداؤه في حياته فقط. أما ما دام لا تأثير له في حياته الدنيوية، كذلك لا تأثير له بعد انتقاله إلى الحياة البرزخية، والله تعالى الذي أجرى بحوله وقوته على يديه الخير في حال حياته الدنيوية، هو الذي يجري على يديه بعد انتقاله.

ومن الذي يقيد الله تعالى ويوجب عليه أن يفتح على أيدي خلقه في حال حياتهم الدنيوية ولا يفتح على أيديهم في حال انتقالهم إلى حياة أخرى برزخية أو أخروية.

فالتوسل حكم مقرر جوازه من أحكام الشريعة المطهرة، ومعمول به في عصره لا يتغير بانتقاله ﷺ كما لا تتغير بقية أحكام التشريع، فلا يحق لإنسان أن يقول: هل الوضوء جائز بعد موت النبي ﷺ؟ وهل الصلاة جائزة بعد موت النبي ﷺ؟ وهكذا ومثل ذلك قولهم: هل التوسل جائز بعد موته – عليه الصلاة والسلام – ؟ لأنها جميعاً أحكام شرعية مقررة بأدلتها، وهي معمول بها في حياته وبعد انتقاله.

ومَنْ سأل عن ذلك أو فرَّق بين الأحكام: فأجاز بعضها ومنع بعضها دل ذلك على جهله بالشريعة وأصولها فلا يلتفت إليه بعد إقامة الحجة عليه.

٢- من توهم أن النبي ﷺ قد انتقص شيء من كمالاته التي كان عليها في الدنيا بالانتقال إلى البرزخ فهو مخطئ، وربما جره ذلك إلى الكفر إذا قال

بانفكاك وصف النبوة والرسالة عنه في برزخه، وذلك أن جميع الكمالات التي أثبتها الله تعالى له في كتابه: أو أخبر بها هو عن نفسه ثابتة له باعتباره نبياً ورسولاً .. ووصف النبوة والرسالة لا ينفك عنه في برزخ من البرازخ فجميع الكمالات الثابتة له لا يصح انفكاكها عنه.

وإن الرجل من أهل عصرنا عندما يُسْلم يقول: «أشهد أن محمداً رسول الله»، ولا يقول: «أشهد أن محمداً كان رسول الله». ويقول في كل تشهد: «السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته» ولا يقول: «السلام عليك يا من كنت نبياً في حياتك ولست نبياً بعد انتقالك فهو محمد نبي الله ورسوله، كان ولا زال نبياً رسولاً، وكل ما ثبت له من الفضائل والكمالات في حياته باعتباره نبياً ورسولاً ثابت له بعد انتقاله لأنه ما زال نبياً ورسولاً. وقد قال ربنا سبحانه وتعالى: ﴿ وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَىٰ ﴿٤﴾ ﴾[1]. وثبت عنه قوله ﷺ: «**القبر أول منزل من منازل الآخرة**». فبهذا يتبين أن ما هو عليه في قبره خير له مما هو عليه في الدنيا.

وأقول: إن الواجب على المرء في نطاق الإسلام أن يقتدي بالرسول ﷺ في كل صغيرة وكبيرة لقول الله تعالى: ﴿ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۖ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾[2].

ومن الخطأ البين: إطلاق اللفظ مع الحكم عليه بأنه جائز أو غير جائز،

---

(١) سورة الضحى، الآية: ٤.

(٢) سورة الحشر، الآية: ٧.

وما ذكره المؤلف: من باب إطلاق العام (التوسل) وإرادة الخاص (التوسل الممنوع) ولو كان الدين بالقياس لكان مسح أسفل الخف أولى من ظاهره كما أثر عن الإمام علي – رضي الله عنه.

ولو كان التوسل – كما يفهمه القوم – جائزاً لذهب الصحابة – رضي الله عنهم – إلى القبر الشريف وسألوا بجاه النبي ﷺ أن يسقوا ولما كان هناك داعياً إلى اصطحاب العباس – رضي الله عنه – ليستسقي لهم.

وقد حدثت نوائب عظام حلت بالأمة، فلم يتوسل الصحابة – رضي الله عنهم – بالرسول ﷺ يوم مقتل عُمَر – رضي الله عنه – أو يوم مقتل عثمان – رضي الله عنه – أو يوم مقتل الإمام علي – رضي الله عنه – أو يوم مقتل الحسين بن علي – رضي الله عنه – لو كان التوسل – كما يفهمون – جائزاً فلماذا ذهبوا إلى تجهيز الجيوش، وسألوا ربهم النصر كما وعدهم، علم من ذلك أن التوسل بهذه الصور غير مشروع.

يقول المؤلف صـ٢٤: وقد ثبت بالأحاديث الصحيحة وبالإجماع حياة الأنبياء وغيرهم في قبورهم، وإليك بعض النصوص:

١- عن أنس – رضي الله عنه – قال: قال رسول الله ﷺ: «**الأنبياء أحياء في قبورهم يصلون**» [(١)].

٢- وعنه أيضاً أن رسول الله ﷺ قال: «**رأيت موسى ليلة أسري بي عند الكثيب الأحمر وهو قائم يصلي في قبره**» [(٢)].

---

(١) رواه أبو يعلى في مسنده بسند صحيح.

(٢) رواه مسلم.

٣- عن عبدالله بن مسعود – رضي الله عنه – قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن لله عز وجل ملائكة سياحين في الأرض يبلغونني عن أمتي السلام**» (١).

٤- وعن أوس بن أوس – رضي الله عنه – قال: قال رسول الله ﷺ: «**أفضل أيامكم الجمعة، فيه خلق آدم، وفيه قُبض، وفيه النفخة، وفيه الصعقة، فأكثروا علي من الصلاة، فإن صلاتكم معروضة علي**»، قالوا: وكيف تعرض صلاتنا عليك وقد أرمت؟ يقولون: بليت، فقال: «**إن الله قد حرَّم علي الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء**» (٢).

٥- وعن ابن مسعود – رضي الله عنه – قال: قال رسول الله ﷺ: «**حياتي خير لكم تحدِّثون ويُحَدَّث لكم ووفاتي خير لكم، تُعْرض علي أعمالكم فما رأيت من خير حمدت الله عليه، وما رأيت من شر استغفرت لكم**» (٣).

٦- عن أنس – رضي الله عنه – قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن أعمالكم تعرض على أقاربكم وعشائركم فإن كان خيراً استبشروا، وإن كان غير ذلك قالوا: اللهم لا تمتهم حتى تهديهم كما هديتنا**» (٤).

---

(١) رواه النسائي وأحمد والحاكم وصححه والدارمي والبيهقي في الشعب والبزار وابن حبان في صحيحه.

(٢) رواه أبو داود وأحمد والنسائي وابن ماجة والدارمي والبيهقي.

(٣) قال الحافظ العراقي في طرح الترتيب ٣/ ٢٩٧ إسناده جيد، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد ٩/ ٢٤ رواه البزار ورجاله رجال الصحيح، وصححه السيوطي في الخصائص ٢/ ٢٨١.

(٤) رواه الإمام أحمد وطرقه بشد بعضها بعضاً: الفتح الرباني: ترتيب المسند ٧/ ٨٩.

٧- عن عائشة – رضي الله عنها – قالت: كنت أدخل بيتي الذي فيه رسول الله وأبي وأضع ثوبي وأقول: إنما هو زوجي وأبي، فلما دفن عمر معهما فوالله ما دخلت إلا وأنا مشدودة على ثيابي حياء من عمر» [(١)].

وأقول: نعم، إن الموتى أحياء في قبورهم، ولكنها حياة برزخية مختلفة عن الحياة الدنيوية ثم إنها حياة دار الجزاء وليست دار العمل فلا يجوز التوسل بهم ولا طلب شيء منهم .. وخير دليل على ذلك: أن أهل القرون الثلاثة المفضلة – رضي الله عنهم – وهم خير القرون بلا منازع، لم يتوجه إليهم أحد متوسلاً بهم ولم يطلب منهم أحد جلب نفع أو دفع ضر، والصحابة – رضي الله عنهم – كانوا منتشرين في الآفاق فلم يتوسلوا بأحد ممن سبقهم إلى الله تعالى ولم يقروا أحداً على توسل، فلنا فيهم القدوة والتأسي بعد خاتم الأنبياء – عليهم الصلاة والسلام.

٨- عن سعيد بن المسيب – رحمه الله تعالى – قال: لقد رأيتني ليالي الحرة وما في مسجد رسول الله ﷺ غيري، وما يأتي وقت صلاة إلا وسمعت الأذان من القبر» [(٢)].

٩- عن جبير قال: «أنا والله الذي لا إله إلا هو أدخلت ثابتاً البناني في

---

(١) رواه الإمام أحمد، قال الحافظ الهيثمي في مجمع الزوائد ٨/ ٢٦ رجاله رجال الصحيح، ورواه الحاكم وصححه ووافقه الذهبي.

(٢) رواه أبو نعيم بإسناد صحيح.

لحده ومعي حميد الطويل فلما سوينا عليه اللبنة سقطت لبنة، فإذا أنا به يصلى في قبره».

١٠- عن جابر بن عبدالله – رضي الله عنهما – قال: قال رسول الله ﷺ: «**إذا ولى أحدكم أخاه فليحسن كفنه فإنهم يتزاورون في قبورهم**» [(١)]. رؤية الصلاة من بعض الأنبياء والصالحين أو سماع الأذان، فهذه العبادات ليست عبادات التكليف بل هو تلذذ بالعبادات كما جاء عن أهل الجنة أنهم يلهمون التسبيح كما يلهمون النفس، وكما ذكر القرآن قولهم: ﴿ وَقَالُواْ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى صَدَقَنَا وَعْدَهُۥ وَأَوْرَثَنَا ٱلْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ ٱلْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَآءُ ۖ فَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ ﴿٧٤﴾ ﴾ [(٢)]. ولا يؤخذ من هذا جواز التوسل بهم فالرسول ﷺ لم يسأل موسى – عليه السلام – شيئاً كما أن سعيد بن المسيب – رحمه الله تعالى لم يسأل الرسول ﷺ شيئاً عقب سماع الأذان.

يقول المؤلف صـ٢٨: هل ثبت أن أحداً من أصحابه – عليه الصلاة والسلام – أو التابعين سأله بعد انتقاله؟

الجواب: نعم، ثبت ذلك، وإليك بعض الأدلة:

---

(١) رواه الترمذي وابن ماجة.

(٢) سورة الزمر، الآية: ٧٤.

• روى البيهقي وابن أبي شيبة – بإسناد صحيح – عن مالك الدار – وكان خازن عمر – رضي الله عنه – على الطعام: «أن الناس قُحطوا في خلافة عمر – رضي الله عنه – فجاء رجل إلى قبر النبي ﷺ وقال: يا رسول الله: استسق لأمتك فإنهم هلكوا، فأتاه رسول الله ﷺ في المنام وقال: (**ائت عمر بن الخطاب وأقرئه السلام وأخبره أنهم يُسقون**) فأتاه فأخبره فبكى عمر – رضي الله عنه – وسُقوا»[1].

وأقول: هناك عدة مسائل ينبغي أن نعرفها معرفة صحيحة حتى تكون ميزاناً نزن به الأمور، وبهذا يتبين لنا ما إذا كان الحديث حجة لهم أو عليهم.

١- تعريف الاستسقاء، وكيف كان الرسول ﷺ يستسقي؟

٢- هل يجيز الشرع مخاطبة الأموات؟ وهل يجيز سؤالهم قضاء الحاجات؟

٣- هل بإمكان الميت سماع الخطاب ويحقق للداعي رغبته؟

٤- هل المرئي مناماً تقوم على أساسه الحجة؟

٥- هل الرجل الذي طلب من النبي ﷺ بعد وفاته أن يستسقي لأمته هو بلال بن الحرث – رضي الله عنه؟

---

(١) صححه الحافظان: ابن كثير في البداية والنهاية ٧/ ١٠١، وابن حجر في الفتح ٢/ ٤٩٥. ومحل الاستدلال: فعل الرجل وهو صحابي أو تابعي – ولم ينكره عمر ولا غيره فكان إجماعاً وقد روى سيف في الفتوح: أن الرجل هو بلال بن الحارث المزني أحد الصحابة، قال ابن حجر: إسناده صحيح، فتح الباري ٢/ ٤١٥.

٦- إذا خالف الصحابي أمر الشريعة فأيهما يُتبع؟

٧- إذا كان طالب الاستسقاء ليس صحابياً بل هو مجهول فهل يُتبع؟

٨- التأكد من صحة السند وموافقته لصحة المتن.

وللجواب عن هذه النقاط نستعين بالله تعالى ونقول:

الاستسقاء لغة:

هو مصدر للفعل استسقى: يقال: استسقى يستسقي استسقاء .. مثل استشفى يستشفي استشفاء.

والاستسقاء اصطلاحاً هو: الطلب من المرء الصالح أثناء حياته أن يدعو الله عز وجل بنزول الغيث لينتفع به العباد والبلاد فيتوجه هذا المرء إلى ربه بالدعاء والحاضرون يؤمنون على دعائه، وقد استسقى النبي ﷺ لأمته في حياته وبعد مماته كان الصحابة – رضوان الله عليهم – يستسقي أحدهم للحاضرين من الأمة فيسقون.

وبمقارنة هذا الحديث مع ما ورد في السنة في عهده ﷺ لا ينطبق هذا الحديث على ما ورد في عهده – صلوات الله وسلامه عليه – ولا ينطبق على ما كان في القرون الثلاثة المفضلة بل هو من قبيل التوسل غير المشروع؛ لأن الرجل صاحب القصة لم يطلب من حي، بل طلب من الرسول ﷺ بعد وفاته وهذا عمل غير مشروع لسببين أحدهما: أنه طلب من ميت ويشترط لصحة الاستسقاء أن يكون من حي.

وثانيهما: أن الاستسقاء عمل وبموت الإنسان ينقطع العمل لبدء الحياة البرزخية وهي أولى مراحل الجزاء (الآخرة).

وبهذا فإن عملية الاستسقاء لم تتم لأنها فقدت أهم ركن منها وهو الدعاء، وحينما يقول القائل: «.. فأتاه رسول الله ﷺ في المنام، وأخبره، أنهم يسقون» هذا تقول على الرسول – صلوات الله وسلامه عليه.

- إن الشريعة الإسلامية القائمة على التوحيد لا تجيز للأحياء مخاطبة الأموات وسؤالهم: قضاء الحاجات بالدعاء ونحوه وقد انقطعت أعمالهم بوفاتهم لقول ﷺ: «**إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له**» والعجيب حقاً أن ينصرف كثير من الخلق عمن يملك خزائن السموات والأرض وهو الحي الباقي الذي لا يموت ثم يتوجهون إلى الأموات يسألونهم ويتوسلون بهم. وما أشبه هذا العمل بعمل المشركين الذين حكى عنهم القرآن قولهم: ﴿ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَى ﴾ (١).
- قال الله تعالى عن الموتى: ﴿ إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ ﴾ (٢)، وقال جل شأنه: ﴿ وَمَآ أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِى ٱلْقُبُورِ ﴾ (٣). فإذا كان الموتى لا يسمعون من يدعوهم فكيف يجيبونهم بتحقيق حاجاتهم؟

---

(١) سورة الزمر، الآية: ٣.

(٢) سورة النمل، الآية: ٨٠.

(٣) سورة فاطر، الآية: ٢٢،

- ما يراه النائم ليس من أصول الدين فلا تقوم به حجة، أي: لا يحل حراماً ولا يحرم حلالاً، فإذا كان راوي الحديث قد رأى صورة النبي ﷺ فهذه الرؤيا حق؛ لأن الشيطان لا يتمثل بالنبي ﷺ وكلامه حق في اليقظة وفي المنام فيما وافق الشرع الذي قام بتبليغه، ومن الممكن أن يكون هذا مجرد بشرى من الرحمة المهداة – صلوات الله وسلامه عليه – لا صلة لها بمسألة التوسل غير المشروع والله أعلم.
- وبالنسبة للرجل: لم يثبت أنه بلال بن الحرث – رضي الله عنه – وأصحاب التدليس يستغلون شهرة بعض الصحابة فيسندون إليهم بعض الروايات ترويجاً لها فيغتر مَنْ لا دراية له بدراسة الأسانيد فيقبل الحديث على ما فيه من ضعف أو وضع ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.
- وعلى فرض أنه لا تدليس في السند، وأن راوي القصة هو: بلال ابن الحرث – رضي الله عنه – فلا يقبل أيضاً الحديث لأنه خالف أصلاً من أصول الدين والصحابي إن انفرد بما يعارض الثابت من أمور الشرع والعقيدة فيرد لأن الصحابي ليس معصوماً واحتمال صدور الخطأ منه وارد، والعصمة لا تكون لأحد غير الأنبياء – عليهم الصلاة والسلام – وإذا اجتهد الصحابي وكان في المسألة نص فاجتهاده – رضي الله عنه – غير مقبول؛ لأن القاعدة «لا

اجتهاد مع النص»، أما إذا أجمع الصحابة على أمر فإنه حجة لأن الإجماع مصدر من مصادر التشريع (أي أصل من أصول التشريع الأربعة).

- وقد تبين لنا أن الصحابي إذا انفرد باجتهاد فإن اجتهاده يرد لأنه غير معصوم ومن باب أولى إذا انفرد المجهول برأي أو اجتهاد فإنه يرد ولا يعمل به لأنه خالف أمراً شرعياً وأصلاً من أصول الدين.
- وبالنسبة لسند الحديث فبيانه كما يلي:

١- قال الحافظ بان حجر في الفتح: «إنه جاء رجل إلى قبر النبي ﷺ فقال: كذا وكذا .. الحديث، وذلك من رواية ابن أبي شيبة بإسناد صحيح من رواية أبي صالح السمان عن مالك الدار، وكان خازن عمر – رضي الله عنه – فاللفظ (جاء رجل) ولم يأت اللفظ: أن هذا الرجل هو أحد الصحابة.

وأقول: اتضح أن الرجل الذي طلب من الرسول ﷺ الاستسقاء ليس هو بلال بن الحرث – رضي الله عنه – بل هو مجهول ومن المحتمل أنه أحد الأعراب أو غيرهم. فالعمل الذي نُسب إلى بلال – رضي الله عنه – على فرض وقوعه منه ليس حجة لمخالفته بعض الأصول الشرعية، فمن باب أولى إذا كان راوي القصة مجهولاً فعمله مردود وروايته مردودة لا تقوم لها حجة.

٢- وقد روى سيف في الفتوح: أن الذي رأى المنام هو بلال بن الحرث والحديث الصحيح: ليس فيه سوى: جاء رجل وعن سيف

أن هذا الرجل هو: بلال بن الحارث المزني من الصحابة. بينما سيف هذا هو سيف بن عمر الضبي الأسدي ويقال: التميمي البرجمي، ويقال: السعدي الكوفي.

وقد ذكر هذا الرجل في (مصنف الفتوح والردة) من المجهولين. وقال عباس بن يحيى: ضعيف، وقال داود: ليس بشيء، وقال أبو حاتم، متروك. وقال ابن حبان متهم بالزندقة.

والخلاصة أن حديثاً مثل هذا فيه من هو مجهول أو متهم بالزندقة فالحديث ساقط لا تقوم به حجة.

والقوم أنفسهم مصرون على الباطل والأولى بهم أن يعودوا إلى الحق ويتركوا الباطل عسى الله أن يغفر لنا ولهم الذنوب والزلات (آمين).

***

حديث الأعمى وما ورد فيه

يقول المؤلف صـ٢٩: روى الترمذي والنسائي والبيهقي والطبراني بإسناده حديث توسل الأعمى به وبأمره ﷺ ونصه: «عن عثمان بن حنيف – رضي الله عنه – أن رجلاً ضرير البصر أتى النبي ﷺ فقال: ادع الله أن يعافيني، قال: إن شئت دعوت، وإن شئت صبرت فهو خير لك. قال: فادعه. قال: فأمره أن يتوضأ فيحسن وضوءه ويدعو بهذا الدعاء: اللهم إني أسألك وأتوجه إليك بنبيك محمد نبي الرحمة، يا محمد إني توجهت بك إلى ربي في حاجتي هذه لتقضى لي، اللهم فشفعه فيّ. قال عثمان: فوالله ما تفرقنا ولا طال بنا الحديث حتى دخل الرجل وكأنه لم يكن به ضر».

ورواه أيضاً ابن خزيمة في صحيحه، وأحمد في المسند، وابن ماجه في السنن، والحاكم في المستدرك وصححه ووافقه الذهبي.

ورواه ابن أبي خيثمة في تاريخه بإسناد صحيح ونصه: «عن عثمان بن حنيف – رضي الله عنه – أن رجلاً أعمى أتى النبي ﷺ فقال: إني أُصبت في بصري فادع الله لي، قال: «**اذهب فتوضأ وصل ركعتين**» ثم قال: «**اللهم إني أسألك وأتوجه إليك بنبي محمد نبي الرحمة**»، يا محمد إني استشفع بك على ربي في رد بصري، اللهم فشفعني في نفسي، وشفع نبيك في رد بصري، وإن كانت حاجة فافعل مثل ذلك.

وقوله: «وإن كانت حاجة فافعل مثل ذلك» زيادة تفرد بها حماد بن سلمة، وهي زيادة ثقة مقبولة؛ لأنها لا تنافي أصل الحديث ولا تخالفه بل

توافقه؛ لأن الأصل العموم واستعمال الحديث أي وقت.

قال الحافظ أبو حاتم بن حبان في الثقات ٨/ ١ وزيادة الألفاظ عندنا مقبولة عن الثقات إذ جائز أن يحضر جماعة شيخا في سماع شيء، ثم يخفى على أحدهم بعض الشيء ويحفظه من هو مثله أو دونه في الإتقان.

وقد عمل الصحابة والتابعون والسلف والخلف بحديث عثمان بن حُنيف هذا في قضاء حوائجهم، فقد روى الطبراني في المعجم الصغير موقوفاً وصححه عن عثمان بن حُنيف أن رجلاً كان يختلف إلى عثمان بن عفان – رضي الله عنه – في حاجة له، فكان عثمان لا يلتفت إليه ولا ينظر في حاجته، فلقي عثمان بن حُنيف فشكا ذلك إليه فقال له عثمان بن حنيف: ائت الميضأة فتوضأ ثم ائت المسجد فصل فيه ركعتين ثم قل: «اللهم إني أسألك وأتوجه إليك بنبينا محمد ﷺ نبي الرحمة، يا محمد إني أتوجه بك إلى ربي جل وعز فيقضي لي حاجتي» قال: وتذكر حاجتك الحديث، وفيه: أنه قضيت حاجته، وأخرجه أيضاً في المعجم الكبير، وفي الدعاء، وأخرجه البيهقي في الدلائل.

قال الشيخ بشير السهواني الهندي مؤلف كتاب «صيانة الإنسان عن وسوسة الشيخ دحلان»: في سند هذا الحديث: أبو جعفر فإن كان هو: عيسى بن عيسى ما هان أبو جعفر الرازي التميمي كما ظنه الحافظ ابن حجر في «التقريب» فالأكثرون على ضعفه، قال عنه الذهبي: صالح، ووثقه ابن معين، وقال أحمد والنسائي: ليس بالقوي. وقال ابن المديني: ثقة كان يخلط، وقال مرة: كان يخطئ. وقال الفلاس: سيئ الحفظ.

وإن كان أبا جعفر المديني فهو مجهول، وإذا كان رجلاً آخر فلا بد من

تعيينه، ولكن شيخ الإسلام: أحمد بن تيمية – رحمه الله – جزم بأنه هو: أبو جعفر الخطمي وهو ثقة.

وبناء على هذا فالحديث صحيح لكنه ليس بحجة لمن يستدل به على جواز التوسل بذوات المخلوقين وإنما يستدل به على مشروعية دعاء المؤمن لأخيه المؤمن وذلك يتضح مما يلي:

١- أن الأعمى ما جاء متوسلاً بذاته، بل بدعائه ﷺ.

٢- قوله للرسول ﷺ «ادع الله أن يعافيني».

٣- إلحاح الأعمى في طلبه الدعاء فيه ﷺ بقوله: «فادعه».

٤- قول الأعمى في آخر الدعاء الذي تعلمه منه ﷺ: «اللهم فشفعه فيّ».

٥- في سند الترمذي والحاكم في المستدرك: زيادة في الدعاء وهي قوله: «وشفعني فيه».

٦- وهنا دليل يمكن استنباطه من واقع حياة الأعمى وسأذكره بعد ذلك.

وسأشرع في توضيح النقاط المذكورة بما يؤكد بطلان ما ذهب إليه القوم فأقول وبالله التوفيق:

١- من ينظر إلى قول الأعمى: «ادع الله أن يعافيني» يلاحظ أن الأعمى ما جاء إلى النبي ﷺ إلا ليدعو الله له بالشفاء من ضُرّه.

٢- وأن قوله ﷺ مجيباً للأعمى: «**إن شئت دعوت وإن شئت صبرت**

وهو خير» في هذا دليل آخر على أنه ما جاء إلا طالباً للدعاء ولذا خيره النبي ﷺ بين الدعاء له أو الصبر على ابتلائه.

٣- إلحاح الأعمى على الرسول ﷺ بأن يدعو له بقوله «فادعه» فهذا من جملة الأدلة على أن الأعمى ما جاء إلا ليدعو له الرسول ﷺ وقد دعا له – عليه الصلاة والسلام – كما وعده. والرسول ﷺ علم المؤمنين أن يأخذوا بالأسباب الشرعية من تداوي ودعاء وقد علمه الرسول ﷺ دعاءً معيناً يدعو به فهو أرجى للقبول بالإضافة إلى دعائه ﷺ له.

٤- قول الأعمى في دعائه الذي علمه رسول الله ﷺ إياه: «اللهم شفعه فيّ» وفيها دليل على دعاء الرسول ﷺ له، وأن الأعمى يسأل الله عز وجل أن يقبل دعاء النبي ﷺ له.

٥- وقد وردت زيادة عند الترمذي في سننه والحاكم في مستدركه ونصها: «وشفعني فيه» وفيها دليل على أن الرسول ﷺ قد دعا له ومعنى هذه الجملة «وشفعني فيه» أي: اقبل دعائي في قبول دعائه من أجل أن ترد إلي بصري.

٦- في مجيء الأعمى وتحمله مشقة الوصول إلى النبي ﷺ وقد لا يتيسر القائد للأعمى .. في هذا دليل على أنه يريد إخبار الرسول – صلوات الله وسلامه عليه – بحاله من الضر والعمى وأنه يطلب منه الدعاء لأن دعاءه ﷺ مستجاب، ولو كان يريد التوسل بجاهه أو بذاته لتوسل بذاته أو بجاهه وهو في بيته دون أن يحضر إليه – صلوات الله وسلامه عليه.

وقد استجاب الله جل وعلا دعاء النبي ﷺ ودعاء الأعمى فارتد بصيراً وكشف الله ضره. وعلى هذا فمعنى «اللهم إني أسألك بنبيك ..» أي: بدعاء نبيك، ولا يفهم منه جواز التوسل بذاته أو بجاهه ﷺ كما أن مقصود الأعمى من المجيء: طلب الدعاء كما تبين من قبل.

والمتبادر إلى أذهان الصحابة – رضوان الله عليهم – من التوسل: طلب الدعاء من المتوسل به .. وليس المراد ما يتبادر إلى أذهان الكثيرين: التوسل بذوات المخلوقين أو بجاههم من بلايا العصر نسأل الله سبحانه وتعالى أن يثبتنا على التوحيد الخالص من شوائب الشرك والكفر .. آمين.

وعلى هذا يتبين أيضاً سقوط استدلال المجوزين للتوسل بذوات المخلوقين أو بجاههم وأن الحديث على الرغم من صحته، لا يصلح دليلاً لهم، بل هو حجة عليهم وأن ما يذكرونه ليس دليلاً بل هي شبه يوردونها ﴿ مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ ۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَمَا تَهْوَى ٱلْأَنفُسُ ۖ وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ ٱلْهُدَىٰٓ ﴾ (١).

***

حديث الرجل الذي كانت له حاجة عند عثمان بن عفان – رضي الله عنه يقول المؤلف صـ٣٠، ٣١: روى الطبراني في المعجم الصغير موقوفاً وصححه عن عثمان بن حنيف أن رجلاً كان يختلف إلى عثمان بن عفان – رضي الله عنه – في حاجة له فكان عثمان لا يلتفت إليه ولا ينظر في حاجته، فلقي عثمان بن حُنيف فشكا ذلك إليه فقال له عثمان بن حنيف: أئت الميضأة

(١) سورة النجم، الآية: ٢٣.

فتوضأ ثم أئت المسجد فصل فيه ركعتين ثم قل: «اللهم إني أسألك وأتوجه إليك بنبينا محمد ﷺ نبي الرحمة، يا محمد إني أتوجه بك إلى ربي جل وعز فيقضي لي حاجتي» قال: وتذكر حاجتك، الحديث وفيه أنه قضيت حاجته، وأخرجه أيضاً في المعجم الكبير، وفي الدعاء، وأخرجه البيهقي في الدلائل.

وفي بعض الروايات: «.. فانطلق الرجل فصنع ذلك .. ثم أتى باب عثمان بن عفان – رضي الله عنه – فجاء البواب فأخذ بيده فأدخله على عثمان – رضي الله عنه – فأَجْلسَهُ معه وقال له: اذكر حاجتك، فذكر حاجته فقضاها له. ثم قال: مالك من حاجة فاذكرها. ثم خرج من عنده فلقي ابن حُنيف فقال له: جزاك الله خيراً .. ما كان ينظر لحاجتي حتى كلمته لي، فقال ابن حنيف: والله ما كلمته، ولكن شهدت رسول الله ﷺ وأتاه ضرير فشكى إليه ذهاب بصره ..» إلى آخر حديث الأعمى المتقدم.

ما قيل في متن هذا الحديث:

هذا الحديث تظهر على أسلوبه علامات الصنعة في ترتيب وتركيب الأفكار الواردة فيه .. ففي قوله: «كان رجل يختلف إلى عثمان بن عفان – رضي الله عنه – في زمن خلافته فكان لا يلتفت ولا ينظر إليه في حاجته» فجعل قوله: «فكان لا يلتفت ولا ينظر إليه» مستنداً يستند إليه في ادعاء جواز التوسل بالرسول ﷺ وتأثير ذلك على عثمان بن عفان حتى قضى حاجته كما أن الأسلوب يُظهر عثمان هنا بمظهر الذي لا يبالي بحاجات المؤمنين حتى يأتي التوسل فيجعله مسلوب الإرادة ويبادر بقضاء حاجة ذلك الرجل!!!

ومن قرأ سيرة هذا الرجل – رضي الله عنه – كان يفيض رقة ورحمة وعطفاً على المؤمنين قبل الخلافة وبعدها مما يجعل هذا الكلام «فكان لا يلتفت

ولا ينظر إليه» منقولاً ومكذوباً عليه.

ليس هذا من خلق عثمان – رضي الله عنه – وهو ذو النورين، وأحد العشرة المبشرين بالجنة ومواقفه في البذل والإيثار مشهودة معروفة، فلا يعقل تجاهله لحاجة الرجل، وقد دخل مراراً ويراه عثمان في مجلسه دون أن يسأله عن حاجته أو سبب دخوله عليه، مع أنه يجلس هذه الجلسات لقضاء حوائج الناس كما ينص على ذلك هذا الدين الذي نحن جميعاً به مسلمون.

إن كثيراً من القادة المعاصرين: وفيهم مَنْ يدعى الإسلام ومنهم من يُعلن كفره وإلحاده: يقضون حوائج الناس تثبيتاً لحكمهم فهل كان عثمان – رضي الله عنه – وهو ممن يعملون ابتغاء مرضاة الله عز وجل وطلباً لما عند الله وليس طلباً للدنيا الزائلة الحقيرة، متغافلاً عن حاجة هذا الرجل؟ حتى يصوره هذا الحديث العجيب بهذه الصورة؟

والصحابي الجليل: عثمان بن حنيف – رضي الله عنه – ممن يعلمون جيداً شأن الصحابة – رضي الله عنهم – أن التوسل بذات النبي ﷺ غير جائز شرعاً وأن طلب الدعاء من النبي ﷺ قد توقف بموته، فكيف ينسبون إليه أنه علم ذلك الرجل هذا التوسل المذموم.

والرسول – صلوات الله وسلامه عليه – هو الذي علمهم أمور دينهم ورباهم على يديه فكيف يتصورون أن عثمان بن عفان يتجاهل هذا الرجل مراراً، وأن عثمان بن حنيف يعلم هذا الرجل ما يمكن أن يقع به في الشرك من التوسل المذموم ﴿إِنْ هَٰذَآ إِلَّا ٱخْتِلَٰقٌ﴾ [1].

(١) سورة ص، الآية: ٧.

والراجح: أن هذا الدعاء ليس عاماً بل هو خاص – على افتراض صحته – أي: واقعة بعينها ومعجزة للرسول ﷺ ولو كان دعاءً عاماً تتحقق آثاره لكل أعمى لما وجد أعمى على وجه الأرض ولأسرع كل أعمى إلى الدعاء به ليرتد بصيراً، حتى غير المسلمين يمكن أن يدعوا به ما داموا قد رأوا أثره في العميان قد عادت إليهم أبصارهم، بل هو لو كان صحيحاً دواء لكل حاجة كما في الحديث المنسوب إلى عثمان بن حنيف – رضي الله عنه – والواقع خلاف ذلك، فإن العميان – لحكمة يعلمها الباري جل وعلا كثيرون، ولا يزال أهل الحاجات محتاجين إلى قضاء حوائجهم.

ما سبق ذكره يبين ضعف الحديث من جهة متنه، ثم إنه ضعيف السند كذلك ففي سنده: شبيب بن سعيد الحبطي البصري: قال عنه الذهبي في ميزان الاعتدال «صدوق يُغرب» ونقل عن ابن عدي أنه قال: «شبيب لعله يغلط ويهم إذا حدَّث من حفظه، وأرجو أن لا يتعمد».

وذكر شيخ الإسلام: أحمد بن تيمية – رحمه الله في كتابه: «قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة»: أن ابن عدي استنكر حديثين له عن ابن وهب عن شبيب هذا، عن روح بن الفرج. ومما ذكره ابن تيمية – رحمه الله – حول هذه الرواية قوله: فيها عدة علل:

١- انفراد هذا أي شبيب – عمن هو أكبر منه وأحفظ.

٢- إعراض أهل السن عنها.

٣- اضطراب لفظها.

٤- كما أن (شبيب) عُرف له عن روح بن الفرج أحاديث منكرة، ومثل

هذا يقتضي حصول الريب والشك في كونها ثابتة ولا حجة فيها.

وعلى هذا، فهذا الحديث لا يصلح للاحتجاج، وقد قامت الحجة عليهم، وظهر بطلان استدلالهم، وما عليهم إلا أن يقولوا للحق ﴿ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ﴾ لا كما يقول اليهود: ﴿ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا ﴾.

وليعلموا أنهم على خطر عظيم، إذ أن من ينسب إلى السنة المطهرة ما ليس منها فهو مردود عليه لقوله ﷺ: «**من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد**»، «**من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد**»[(١)].

يقول المؤلف صـ٣١: أخرج الحافظ الدارمي في سننه: «باب ما أكرم الله تعالى نبيه بعد موته» عن أبي الجوزاء أوس بن عبدالله قال: قحط أهل المدينة قحطاً شديداً فشكوا إلى عائشة – رضي الله عنها – فقالت: انظروا إلى قبر النبي ﷺ فاجعلوا منه كُوة إلى السماء حتى لا يكون بينه وبين السماء سقف، قال: ففعلوا، فمطرنا مطراً حتى نبت العشب، وسمنت الإبل حتى تفتقت من الشحم فسمي عام الفتق» وهو حديث حسن، رجاله رجال الصحيح ما عدا عمرو بن مالك وهو ثقة وأقول:

إن هذا الحديث دلائل الضعف والوضع بادية عليه وبيان ذلك كما يلي:

١- يكذبون على أم المؤمنين عائشة – رضي الله عنها – ويزعمون أنها قالت: «انظروا إلى قبر رسول الله ﷺ فاجعلوا منه كوةً إلى السماء

---

(١) صحيح البخاري، ح٢٦٩٧، مسلم، ح ١١٧١٨، سنه أبي داود ٤٦٠٦، سنه ابن ماجة ١٤، المسند: ٦/ ٢٤٠، صحيح ابن حبان ٢٦.

حتى لا يكون بينه وبين السماء سقف».

ولا يخفى على عاقل أن الرسول ﷺ لما توفى ولحق بالرفيق الأعلى عز وجل دُفن في بيت عائشة، وبقيت هي ساكنة فيه، ولا يعقل أن تطلب منهم أن يهدموا سقف البيت الذي تسكنه؟ فتبقى ساكنة فيه بلا سقف؟

٢- على حسب زعمهم: أنها طلبت منهم أن يجعلوا كوة من القبر إلى السماء حتى لا يكون بينه وبين السماء سقف ففعلوا .. وعلى فرض أن السقف قد أزالوه فيبقى القبر حاجباً جسده الشريف ﷺ عن السماء، وإن الكوة على حسب قول عائشة يجب أن تكون من القبر لقولها: «انظروا إلى قبر رسول الله ﷺ فاجعلوا منه كوة إلى السماء ..» فهل نبشوا القبر حتى جعلوا منه كوة إلى السماء؟ ويقول الحديث: «ففعلوا». وهذه جرأة شديدة على السنة وتناقض إذ لو حدث هذا لسجلته كتب التاريخ والسير.

٣- إذا كان كشف قبر الرسول ﷺ سبباً في نزول المطر فإن الرسول ﷺ لما كان حياً كان جسمه مُعرضاً للسماء كسائر الناس وقد أصاب الناس قحط في عهده ﷺ ولم يأتهم الغيث بمجرد أن جسده معرضٌ للسماء ولكن القحط استمر حتى خرج بهم النبي ﷺ إلى ظاهر المدينة فاستسقى لهم أي: دعا الله لهم فسقوا، فلماذا لم يغثهم الله إلا بالدعاء؟

٤- ولو كان كشف الجسد الشريف سبباً في نزول الغيث، فلم لم يعمل بها الصحابة بعد ذلك عندما كانوا يقحطون؟ ولم لم يعمل بها عمر ابن الخطاب – رضي الله عنه – في حالات القحط؟ بل خرج بالناس إلى خارج المدينة وقال للعباس ادع فدعا، واستجاب الله دعاءه فسقاهم الغيث.

٥- وإذا كانوا قد فتحوا كوة من قبر رسول الله ﷺ وأتاهم الغيث، وإنا لنتساءل: هل امتلأت الغرفة بالماء؟ وإذا كان هذا قد حدث فأين سكنت أم المؤمنين عائشة – رضي الله عنها؟

٦- في قصة الأعرابي الذي دخل المسجد والرسول ﷺ قائم يخطب الجمعة فشكا الأعرابي القحط فدعا الرسول لهم وهو على المنبر، ثم عاد في الجمعة القابلة ودخل المسجد والرسول قائم يخطب على المنبر، فطلب الأعرابي أن يدعو الرسول ﷺ لإمساك المطر عنهم بعد أن تقطعت السبل فدعا الله واستجاب الله دعوته. كل ذلك وكان الرسول ﷺ محجوب الجسد بسقف المسجد، ومع ذلك فالله قد أغاثهم، ولِمَ لَمْ يخرج الرسول ﷺ ويعرض نفسه للسماء إذ بمجرد ذلك ينزل الغيث المدرار على حد قولهم وهل كان الرسول ﷺ يجهل هذا الأمر؟ وتعلمه عائشة – رضي الله عنها؟

فلما لم يفعل ذلك رسول الله ﷺ دل على بطلان ما ذهبوا إليه من التوسل بكشف الجسد الشريف.

٧- وعلى افتراض صحة ما ذهبوا إليه .. لِمَ لَمْ يجعلوا القبر الشريف مفتوحاً دائماً حتى يتوالى نزول الغيث خاصة وأن هذه البلاد من أكثر الأقاليم حاجة إلى المطر ولكانت هذه البلاد مروجاً وجنات وأنهار من كثرة الغيث الذي ينزل بسبب الكوة التي فتحوها في قبر رسول الله ﷺ.

٨- يقول الحديث: «فمطروا حتى نبت العشب، وسمنت الإبل، حتى تفتقت من الشحم .. فسمى عام الفتق»، ومعنى هذا: أن الفتق كان عاماً وهو في هذه الحالة ظاهرة شر لا ظاهرة خير، ولو حدث لاشتهر في صفحات التاريخ والسيرة. ولو صلت إلينا أخباره، ولما لم تتعرض له كتب التاريخ والسير لا يحذف ولا بإثبات دل على أنه أمر مختلق مصنوع!

***

أقوال العلماء في سند الحديث

ذكر هذا الحديث الشيخ دحلان في كتابه «الدرر السنية في الرد على الوهابية» مستشهداً به على صحة التوسل بذوات المخلوقين وخاصة بذات النبي ﷺ قائلاً في ذلك: ذكر العلامة السمهوري في خلاصة الوفا: «إن من الأدلة على صحة التوسل بالنبي ﷺ بعد وفاته، ما رواه الدارمي في صحيحه عن أبي الجوزاء، ثم ذكر الحديث».

وقد رد عليه الشيخ بشير السهواني الهندي – رحمه الله تعالى وأجزل مثوبته – في كتابه المسمى: «صيانة الإنسان عن وسوسة الشيخ دحلان» بما يلي:

١- إطلاق الصحيح على مسند الدارمي ليس صحيحاً. قال المغلطاني: إن جماعة أطلقوا على مسند الدارمي بكونه صحيحاً، فتعقبهم ابن حجر بقوله: «إني لم أر ذلك في كلام أحد ممن يعتمد عليه .. كيف ولو أطلق ذلك مَنْ لا يعتد بكلامه لكان الواقع بخلافه».

٢- قال العراقي: المرسل والمعضل والمنقطع، والمقطوع فيه كثير.

٣- إن في سنده محمد بن الفضل السدوسي أبو النعمان البصري. قال الحافظ في التقريب: لقبه «عارم» ثقة ثبت تغيره في آخر عمره. وقال في الخلاصة: اختلط «عارم». وقال أبو حاتم: مَنْ سمع قبل سنة ٢٢٠هـ فسماعه جيد. وقال البخاري تغير عارم آخر عمره. وقال أبو داود: إن «عارماً» أنكر سنة ٢١٣هـ، ثم استحكم به

الاختلاط سنة ٢١٦هـ، ولم يسمع منه أبو داود لتغيره.

٤- إن في سنده سعيد بن زيد. قال الذهبي: ليس بالقوى. وقال الحافظ في التقريب: صدوق له أوهام. وقال في الخلاصة: قال ابن معين وقال أحمد ليس به بأس، وقال النسائي: ليس بالقوى. وقال الذهبي في الميزان: ضعيف، وقال السعدي: ليس بحجة يضعفون حديثه. قال أحمد: ليس به بأس. وكان يحيى بن سعيد لا يستريبه.

٥- إن في سنده: عمر بن مالك المنكري، قال الحافظ في التقريب: صدوق له أوهام.

٦- إن في سنده أبا الجوزاء أوس بن عبدالله قال في التقريب: أوس بن عبدالله الربعي البصري وثقوه، وقال يحيى بن سعيد: قتل في الجماجم وفي إسناده نظر، ويختلفون فيه، وقال أيضاً في الكنى: أبو الجوزاء الربعي أوس، تابعي مشهور. قال البخاري في إسناده نظر. فقد ثبت أن الحديث ضعيف منقطع.

٧- إن الحديث موقوف فلا يصح حجة عند المحققين.

٨- يعارضه حديث عمر – رضي الله عنه – ذكر محمد بن إسحاق في مغازيه عن خالد بن دنيا عن أبي العالية قال:لما فتحنا «تستر» وجدنا في بيت مال الهرمزان سريراً عليه رجل ميت عند رأسه مصحف له فحملنا المصحف إلى عمر – رضي الله عنه – فدعا كعباً فنسخه بالعربية، فأنا أول رجل قرأته مثل ما أقرأ القرآن، فقلت لأبي العالية: ما كان فيه؟ قال: سيرتكم وأموركم، ولحون

كلامكم وما هو كائن بعد .. قلت: فما صنعتم بالرجل؟ قال: حفرنا بالنهار ثلاثة عشر قبراً متفرقة، فلما كان بالليل دفناه، وسوينا القبور كلها لنعميه عن الناس فلا ينشبونه. قلت: وما يرجون منه؟ قال: كانت السماء إذا حبست عنهم أبرزوا السرير، فيمطرون، فقلت: مَنْ كنتم تظنون الرجل؟ قال: دانيال [1] . قلت: منذ كم وجدتموه مات؟ قال: منذ ٣٠٠ سنة قلت: ما كان قد تغير منه شيء؟ قال: إلا شعيرات من قفاه. إن لحوم الأنبياء لا تبليها الأرض ولا تأكلها السباع.

فانظر ما في هذه القصة .. من صنع أصحاب الرسول ﷺ وتعمية قبر هذا الرجل، لئلا يفتتن به الناس. كذا في (تبعيد الشيطان بتقريب إغاثة اللهفان) انتهى رد الشيخ بشير السهواني.

وعلى هذا فالحديث مليء بالعلل سنداً ومتناً فلا يصلح للاحتجاج، وما جاء من أحاديث صحيحة – في ثنايا كلامهم – فهي حجة عليهم لا لهم نسأل الله عز وجل أن يهدينا جميعاً إلى ما فيه رضاه، وإلى التوحيد الخالص وما ينبني عليه من أعمال صالحة.

***

(١) دانيال النبي – عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام – كان في سبى (نبوخذنصر) لبني إسرائيل قبل ميلاد عيسى – عليه السلام – بـ٦٠٠ سنة وكتابه من أسفار اليهود المعروفة (رشيد رضا).

قال المؤلف صـ٣١: قال النبي ﷺ لمعاذ – رضي الله عنه – لما أرسله إلى اليمن «**فعلك تمر بقبري ومسجدى**» (١).

فتوفى رسول الله ﷺ وجاء معاذ إلى قبر النبي ﷺ باكياً فمر به عمر فقال: ما يبكيك؟ فقال: حديث سمعته من رسول الله ﷺ: «**اليسير من الرياء شرك**» (٢).

وأقول: هذا الحديث جمع فيه صاحبه بين ما شرع وما لم يشرع!! حتى إذا ما قرأه الأغرار ظنوا أن الحديث كله صحيح .. وبيان ذلك كما يلي:

١- قوله: «فعلك تمر بقبري» يفهم من الجملة الترغيب في زيارة القبر الشريف والقصد لذلك، مع أن هذا يتعارض مع قوله ﷺ: «**اللهم لا تجعل قبري وثناً يعبد**»، وقوله ﷺ: «**لا تجعلوا قبري عيداً**» (٣).

٢- ضمت كلمة «ومسجدي» إلى الجملة السابقة لعل الجملة تروج عند السامعين، خاصة وأن قصد المساجد الثلاثة مشروع لقوله ﷺ: «**لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد: مسجدي هذا، والمسجد الحرام، والمسجد الأقصى**» (٤).

٣- النهي الصريح عن قصد القبر الشريف لقوله ﷺ: «**لا تتخذوا قبري عيداً، ولا تجعلوا بيوتكم قبوراً، وصلوا على حيثما كنتم فإن صلاتكم تبلغني**» (٥).

---

(١) رواه أحمد والطبراني ورجالهم ثقات.

(٢) ورواه ابن ماجة والحاكم وقال: صحيح ولا يعرف له علة ووافقه الذهبي.

(٣) رواه أحمد في المسند ٢/ ٣٦٧، أبو داود ٣/ ٥٣٤.

(٤) رواه البخاري، ح١١٨٩، مسلم، ح٤١٥ (٢/ ٩٧٥).

(٥) مسند الإمام أحمد ٢/ ٣٦٧، سنه أبي داود: ٢/ ٥٣٤.

قال المؤلف صـ٣٢: وقد ذكر جماعة من الحفاظ والمحدثين منهم: الإمام النووي – رحمه الله – في الأذكار، وابن كثير – رحمه الله – في تفسيره عن العتبى قال: «كنت جالساً عند قبر النبي ﷺ فجاء أعرابي فقال: السلام عليك يا رسول الله، سمعت الله يقول:﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا ﴾[1] وقد جئتك مستغفراً لذنبي، متشفعاً بك إلى ربي، ثم أنشد يقول:

يا خير من دُفنت بالقاع أعظمه فطاب من طيبهن القاع والأكم

نفس الفداء لقبر أنت ساكنه فيه العفاف وفيه الجود والكرم

ثم انصرف الأعرابي فغلبتني عيني فرأيت النبي ﷺ في النوم فقال: «الحق الأعرابي فبشره أن الله قد غفر له».

وقد ذكر الإمام القرطبي – رحمه الله – في تفسيره عن علي – رضي الله عنه – قال: قدم علينا أعرابي بعد ما دفنا رسول الله ﷺ بثلاثة أيام فرمى بنفسه على قبر رسول الله ﷺ وحثا على رأسه من ترابه فقال: قلت يا رسول الله قلت فسمعنا قولك، ووعيت عن الله فوعينا عنك، وكان فيما أنزل الله عليك ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا ﴾ وقد ظلمت نفسي وجئتك تستغفر لي، فنودي من القبر: إنه قد غُفر لك».

وأقول: إن متن الحديث يُكذب بعضه بعضاً فهو موضوع، وبيان ذلك كما يلي:

---

(١) سورة النساء، الآية: ٦٤.

١- لما توفي رسول الله ﷺ دُفن في بيت عائشة – رضي الله عنها – ومعنى هذا أن الأعرابي دخل بيت عائشة، ولا يعقل دخوله دون استئذان، وعلى فرض استئذانه ما كانت تسمح له عائشة – رضي الله عنها – أن يفعل ما فعل من مخالفات شرعية من غير أن تأمره بالمعروف وتنهاه عن المنكر.

٢- هذا الحديث مروي عن علي – رضي الله عنه – وأبو صادق لم يثبت سماعه من علي وعلي – رضي الله عنه – لا بد أنه رأى الأعرابي وهو يفعل ما فعل ولا يعقل أن يرى المنكر بهذه الصورة التي تحكي ما كان يفعله أهل الجاهلية ويسكت عنها دون أن يغيرها بالصورة التي تتسنى له شرعاً.

٣- وهذا الحديث يروي عن الأعرابي أنه قال: قُلْتَ يا رسول الله، فسمعنا قولك: ووعيت من الله ما وعينا عنك. فيعلم من هذا أنه سمع من رسول الله ﷺ ورآه وبالتالي يُعد من الصحابة – رضي الله عنهم – ولا يعقل أن يفعل واحد من الصحابة ما ذكره الحديث من أعمال الجاهلية كالارتماء على القبر وحثو التراب على الرأس، وقد نهى ﷺ عن فعل الجاهلية؛ لأن هذا يتنافى مع الإسلام وأعماله الصالحة.

٤- قول الأعرابي: «ووعيت من الله ما وعينا عنك» العبارة خاطئة، فإن رسول الله ﷺ لم يع من الله ما وعاه منه صحابته، بل وعى منه صحابته ما وعى هو عن الله، ولا شك أن بين العبارتين فرقاً

ظاهراً؛ لأن عبارة الأعرابي: أن الصحابة وعوا من رسول الله ﷺ ما وعوه منه قبل أن يعي رسول الله ﷺ ما وعاه عن ربه .. وشتان بين قول الأعرابي الخاطئ وبين ما يجب أن يقوله وهذا الكلام لا يصدر من عربي فصيح رُزق شرف الصحبة يعلم جيداً أنه ما وعاه رسول الله عن ربه كان قبل أن يتلقاه الصحابة من رسول الله ﷺ فقول الأعرابي يدل على أن القرآن تلقاه الصحابة من رسول الله ﷺ قبل أن يتلقاه رسول الله ﷺ عن ربه .. وهذا ظاهر البطلان؛ ولا يقولـه مسلم فضلاً عن صحابي عربي يفقه أمور دينه، وهذا من الهمز واللمز الذي يُراد به التشكيك في كون القرآن من عند الله تعالى.

٥- يقول الأعرابي – كما في هذا الحديث – وكان فيما أنزل الله تبارك وتعالى عليك: ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا ﴾، وقد ظلمت نفسي وجئتك لتستغفر لي ..».

إن هذه الآية الكريمة تتعلق بمن يجيء إلى النبي ﷺ وهو حي لا بعد وفاته ﷺ فإن من استغفر له الرسول ﷺ حال حياته فإن استغفاره مستجاب في الشخص الذي جاء إليه – صلوات الله وسلامه عليه – فيغفر الله له.

أما من جاء بعد وفاته ﷺ كما في الحديث ويطلب منه أن يستغفر له فإنه لا يستجاب له، لأن النبي ﷺ قد انقطع عمله بالموت لحديث: «**إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له**»[1].

---

(١) سبق تخريجه.

وهذا الحديث يشمل جميع الآدميين ومن بينهم رسول الله ﷺ؛ لأنه من بني آدم وقد قضى الله عليه بالموت والتحق بالرفيق الأعلى.

والحياة البرزخية – بين الدنيا والآخرة – حياة لا يعلم حقيقتها إلا الله تعالى وليس هناك من اتصال بين أهل الدنيا وأهل الحياة البرزخية .. قال تعالى: ﴿ وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴾ (١) . والمراد بالبرزخ: الحاجز الذي يحول بين هؤلاء وهؤلاء فلا اتصال بينهما، وقال عز وجل: ﴿ إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ ﴾ (٢) . وقال جل وعلا: ﴿ وَمَآ أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِى ٱلْقُبُورِ ﴾ (٣) .

والرسول ﷺ بعد وفاته صار من الموتى ومن أهل القبور، وبهذا لا يسمع دعاء أحد من أهل الدنيا وبالتالي لا يجيبه، وإذا لم يسمع طلب الاستغفار فكيف يستغفر؟!

وكان الأولى بهذا المستغفر أن يتوجه إلى الله عز وجل تائباً نادماً مستغفراً أو أن يسأل أحد الأحياء أن يدعو له بالمغفرة سيما إذا كان من المطيعين الصالحين، كما طلب عُمر من العباس – رضي الله عنهما – أن يستسقي للمسلمين بعد وفاة رسول الله ﷺ ولم يطلب عمر – رضي الله عنه – من رسول الله ﷺ بعد وفاته أن يستسقي للمسلمين ولو كان هذا جائزاً لفعله عمر – رضي الله عنه – ولكن لم يفعل ذلك؛ لأنه يعلم أن الرسول ﷺ مات ولحق بالرفيق الأعلى عز وجل ولم يعد بإمكانه الدعاء لأحد أو سماعه.

---

(١) سورة المؤمنون، الآية: ١٠٠.

(٢) سورة النمل، الآية: ٨٠.

(٣) سورة فاطر، الآية: ٢٢.

وحتى لا يكون هناك أدنى تعلق لأصحاب التوسل الممنوع بالآية الكريمة، فإن الآية قد نزلت في المنافقين الذين كانوا يمنعون الناس من متابعة الرسول ﷺ ويتحاكمون إلى الطاغوت، وإذا احتاجوا إليه في أمر من الأمور أتوا إليه معتذرين، ويحلفون كاذبين بأنهم ما ذهبوا إلى غيره ﷺ إلا مداراة ولا نعتقد صحة مشروعية الاحتكام إلى الطاغوت، فهؤلاء إذا جاءوا إلى النبي ﷺ واستغفروا من نفاقهم في مجلسه، وسألوه أن يستغفر الله لهم عندها يجدون الله تواباً رحيماً .. والحاصل بخلاف ذلك، فلم يندموا ولم يستغفروا، ولم يستغفر لهم الرسول فما علاقة هذا بواقع الأعرابي الذي جاء رسول الله ﷺ بعد وفاته، وطلب منه وهو ميت أن يستغفر له؟

نعم البون بعيد والفرق شاسع بين الحالين ولا يستساغ القياس بينهما لاختلافهما اختلافاً بيناً.

٦- قوله في الحديث: «فنودي من القبر: إنه غفر لك»؟! إن الذين ابتلاهم الله بالكذب لا يبالون بالكذب على الله تعالى أو على رسوله ﷺ أو على كافة الخلق، كل الذي يهمهم أن يصلوا إلى غايتهم وهي: التشكيك في الإسلام وهدمه: ورائدهم في ذلك: اليهود، حيث يقولون جميعاً: «الغاية تبرر الوسيلة».

والمنافقون الذين امتلأت قلوبهم بالحقد على الإسلام ما كان باستطاعتهم القضاء على الإسلام بالقوة، فلجأوا إلى الدس والكذب على الدين وأهله، ونشر الخرافات عن طريق وضع بعض الأكاذيب وبث الأباطيل ومن أخطرها قولهم: «فنودي من القبر: إنه غفر لك»!!

أي: أن النبي ﷺ ناداه من قبره: إنه غفر لك، وفي هذا تحريض على فعل المعاصي بلا تهيب ثم يفعل ما فعل الأعرابي لينال البشرى بمغفرة الذنب كما نالها الأعرابي، فتنتشر بين المسلمين هذه الأكاذيب ويحتج بها على أنها حقائق لا نزاع فيها، وهذا حاصل بالفعل بين المسلمين حتى العلماء الذين اغتروا ببريق الأمل الفارغ وهو الطمع في الغفران مع الإصرار على المعاصي، أما خواص العلماء: فيميزون بين الخبيث والطيب، ويجددون للناس أمر دينهم فيكونوا سبب رحمة للخلق وكشفاً للغمة وتتميماً للنعمة.

والهدف من هذه الخاتمة «فنودي من القبر: إنه غفر لك» ما يلي:

١- أن رسول الله ﷺ حي في قبره ويسمع كلام من يكلمه، ويجيبهم بكلام مسموع من القبر.

٢- تكذيب ما جاء في القرآن الذي يثبت أن الأموات لا يسمعون ولا يجيبون.

٣- التألي على الله بأنه غفر ذنبه، مع أن هذا من المغيبات التي لا يعلمها إلا الله تعالى.

والقوم في خطر عظيم؛ لأنهم يكذبون على رسول الله ﷺ وقد قال ﷺ: «**من كذب علي متعمداً فليتبوأ مقعده من النار**» [(١)] .. ونخشى أن يكونوا ممن قال الله فيهم: ﴿ أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِنۢ بَعْدِ ٱللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾ [(٢)] .

---

(١) صحيح مسلم، ح٢، المسند ٣/ ٩٨، صحيح ابن حبان: ٣١ من حديث أنس.

(٢) سورة الجاثية، الآية: ٢٣.

هذا بعض ما قاله العلماء عن متن هذا الحديث، وإليك ما قالوه عن سنده:

١- قال في الصارم المنكي: إن هذا خبر منكر موضوع، وأثر مختلق مصنع، لا يصلح الاعتماد عليه، ولا يحسن المصير إليه، وإسناده ظلمات بعضها فوق بعض.

٢- الهيثم: جد أحمد بن محمد الهيثم، أظنه ابن عدي الطائي. فإن يكنه، فهو متروك كذاب، وإلا فهو مجهول، وقد ولد الهيثم بن عدي بالكوفة، ونشأ بها وأدرك زمان سلمه بن كهيل فيما قيل، ثم انتقل إلى بغداد فسكنها.

قال عباس الدوري: سمعت يحيى بن معين يقول: الهيثم بن عدي كوفي ليس بثقة كان يكذب. وقال العجلي وأبو داود: كذاب. وقال أبو حاتم الرازي والنسائي والدولابي والأزدي: متروك الحديث. وقال السعدي: ساقط قد كشف قناعه. وقال أبو زرعة: ليس بشيء. وقال البخاري: سكتوا عنه أي: تركوه. وقال ابن عدي: ما أقل ماله من السند، وإنما هو صاحب أخبار وأسماء ونسب وأشعار. قال ابن حبان: كان من علماء الناس بالسير وأيام الناس وأخبار العرب، إلا أنه روى عن الثقات أشياء كأنها موضوعات يسبق إلى القلب أنه كان يدلسها.

وقال الحاكم أبو عبدالله: الهيثم بن عدي الطائي، حدث عن جماعة من الثقات أحاديث منكرة. وقال العباس بن محمد: سمعت بعض أصحابنا يقول: قالت جارية الهيثم: كان مولاي يقوم عامة الليل يصلي، فإذا أصبح جلس يكذب!! اهـ.

٣- أحمد بن محمد بن الهيثم عن أبيه – أي محمد بن الهيثم – لا ذكر لهما في التقريب ولا التهذيب ولا اللسان فمن احتج بهما أي بأحمد وأبيه محمد فعليه توثيقهما عن إمام من أئمة التوثيق.

٤- وقال الشيخ محمد رشيد رضا: أبوه صادق لم يسمع من علي – رضي الله عنه – وعلى هذا فالحديث لا يصلح للاحتجاج لضعف سنده ووضع متنه، نسأل الله جلت قدرته أن يهدينا جميعاً إلى طريق الحق والسير على أساسه .. آمين.

***

الرواية الثانية

الحديث السابق ذكره له رواية أخرى وهي مشهورة (بحديث العتبي) وقد وردت في كتاب (الشامل) لأبي منصور الصباغ بلا إسناد!! ونص الحديث كما ورد ذكره هو: «كنت جالساً عند قبر النبي ﷺ فجاء أعرابي فقال: السلام عليك يا رسول الله، سمعت الله يقول: ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا ﴾ (١).

وقد جئتك مستغفراً لذنبي، مستشفعاً بك إلى ربي، ثم أنشأ يقول:

يا خير من دُفنت بالقاع أعظمه ... فطاب من طيبهن القاع والأكم

نفس الفداء لقبر أنت ساكنه ... فيه العفاف وفيه الجود والكرم

الحكم على متن هذه الرواية:

إن في متن هذه الرواية (حديث العتبي) عللاً مشتركة مع الرواية الأولى رواية أبي الحسن الكرخي وعللا أخرى لا تشبهها .. فما توافق منها فقد سبقت الإجابة عليها عند نقد الرواية الأولى، أما ما اختلف عنها ناقشناه على ضوء علوم الحديث والسنة المطهرة.

١- تقول الرواية الأولى: «قدم علينا أعرابي بعدما دفنا رسول الله ﷺ بثلاثة أيام، فرمى نفسه فوق القبر وحثا على رأسه من ترابه».

فالعتبي قال عنه بعض المؤرخين إنه توفى سنة ٢٢٨هـ. فهل يمكن أن يحضر حادثة وقعت بعد دفن الرسول ﷺ بثلاثة أيام؟

---

(١) سورة النساء، الآية: ٦٤.

فلو أنه عاش مائة سنة فيبقى بينه وبين الحادثة أكثر من مائة وخمس عشرة سنة انقطاع. فهل يمكن أن يحضر واقعة قبل أن يخلقه الله بمائة وخمس عشرة سنة وعلى هذا فالرواية عنه غير صحيحة.

٢- الروايتان متفقتان على تلاوة الأعرابي للآية الكريمة: ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا ﴾ [1] . وقد سبق بيان أن استدلالهم بالآية الكريمة على جواز التوسل بذوات المخلوقين استدلال غير صحيح وأن الآية حجة عليهم لا حجة لهم. وأنه لا قياس لموت الرسول ﷺ على حياته، كما ينبغي أن نعلم أن الآية نزلت بشأن بعض المنافقين، وحتى تكون توبتهم صحيحة، لا من أجل جواز التوسل بذات الرسول ﷺ.

٣- إن رواية العتبى لم يأت فيها أن الأعرابي رمى نفسه فوق القبر، وحثا على رأسه من ترابه كما في الرواية الأخرى، فهذا اختلاف في اللفظ واضطراب في وصف الحادثة، فوقوع هذا الاختلاف والاضطراب بين الروايتين علة طاعنة ومانعة من صحة الحديث والاحتجاج به.

٤- قول العتبي أن الأعرابي قال: «وقد جئتك مستغفراً لذنبي مستشفعاً بك إلى ربي» وفي الرواية الثانية: «وقد ظلمت نفسي وجئتك مستغفراً» فقد تشابهت الروايتان في العبارتين المتعلقتين بالمجيء من

(١) سورة النساء، الآية: ٦٤.

أجل الاستغفار. وفي رواية العتبي: جاء زيادة «مستشفعاً بك إلى ربي».

إن خطراً عظيماً يكمن في قول الأعرابي «وجئتك مستغفراً» أو «قد جئتك مستغفراً لذنبي» فظاهر العبارتين يوهم أن الأعرابي جاء مستغفراً رسول الله ﷺ من ذنبه، وهذا باطل شرعاً فالاستغفار عبادة يجب أن تكون لله عز وجل وليست للرسول ﷺ فهو لا يملك المغفرة لأحد وأما الآية فتقول: ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا ﴾ أي: أن المجيء ليشهدوا الرسول ﷺ بأنهم يستغفرون الله عز وجل من ذنوبهم ويطلبون منه – صلوات الله وسلامه عليه – أن يستغفر الله لهم.

٥- في رواية العتبي: «مستشفعاً بك إلى ربي» وهذا طلب من الرسول ﷺ أن يشفع له، وهذا غير جائز شرعاً؛ لأن النبي ﷺ بعد وفاته وهو في الحياة البرزخية لا يشفع لأحد، والشفاعة لا تمنح له ﷺ إلا يوم القيامة بعد أن يأذن الله تعالى له ويرضى بذلك، وعلي – رضي الله عنه – من فقهاء الصحابة – رضي الله عنهم – وعلى علم بهذا كله، لكن تجاهلهم وعمي بصيرتهم جعلهم يختلقون حديثاً وينسبونه إليه.

٦- يقول العتبي في الرواية الأولى: «ثم انصرف الأعرابي فغلبتني عيني فرأيت النبي ﷺ في النوم فقال: يا عتبي الحق بالأعرابي فبشره أن الله قد غفر له».

بينما يقول في الرواية الثانية: «فنودي من القبر: أنه قد غُفر لك» .. وهنا نلاحظ الفرق بين اللفظين: رواية تقول: إن الرسول ﷺ أتى العتبي في المنام، وأمره أن يلحق بالأعرابي وبشره بأن الله قد غفر له. ورواية تقول: إن الرسول ﷺ قد ناداه من القبر «إنه قد غفر لك».

فإذا كان الرسول ﷺ قد بلغه مباشرة بأن الله قد غفر له، فما الداعي إلى تكليف العتبى أن يبشره مرة أخرى؟! إنه تكرار لا فائدة منه كما يؤكد عدم صحة الروايتين.

وواضع الحديث يريد أن يوهم المسلمين أن اتصال الرسول ﷺ بأحد أفراد أمته ممكن بعد وفاته، وهذا أمر مستحيل، ولو كان ممكناً لكان الأهم والأولى أن يتصل الرسول ﷺ بأمته في حوادث هامة كمقتل عمر، وعثمان والحسين بن علي – رضي الله عنه – وموقعة الجمل وصفين .. إلخ.

فهل من المعقول أن يكلم النبي ﷺ الأعرابي، وقضيته لا تذكر بجانب المصائب والبلايا التي حلت بالأمة من عهده ﷺ إلى يومنا هذا؟ فما ذكر وغيره يؤكد أن الحديث موضوع.

ما سبق ذكره متعلق بالمتن وأما من جهة السند فإليك البيان:

١- قال أبو بكر بن الحسين بن عمر أبي الفخر المراغي (زين الدين) المتوفى سنة ٨١٦هـ في كتابه: «تحقيق النصرة بتلخيص معالم دار الهجرة ص١١١» في ترجمة العتبي: قال: اسمه محمد بن عبدالله بن عمر بن معاوية بن عمر بن عتبة بن أبي سفيان صخر بن حرب توفي سنة ثمان وعشرين ومائتين.

٢- وقال ابن الأثير في كتابه «اللباب في تهذيب الأنساب ١/ ١١٩» والعتبي: وهي أيضاً نسبة إلى عتبة بن أبي سفيان صخر بن حرب ابن أمية بن عبد شمس أخى معاوية بن أبي سفيان. وينسب إليه جماعة منهم: محمد بن عبدالله بن عمر بن معاوية بن عتبة بن أبي سفيان العتبي البصري، يكنى: أبا عبدالرحمن، صاحب أخبار وآداب حدَّث عن أبيه وابن عيينة، وروى عنه أبو حاتم السجستاني.

٣- وقال ابن خلكان «في وفيات الأعيان: ١/ ٥٢٢» أبو عبدالرحمن، محمد بن عبدالله بن عمر بن معاوية بن عمر بن عتبة بن أبي سفيان صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس القرشي الأموي المعروف بالعتبي الشاعر البصروي المشهور، كان أديباً فاضلاً وشاعراً مُجيداً، وكان يروي الأخبار وأيام العرب، إلى أن قال: روى عن أبيه وعن سفيان بن عيينة، ولوط بن مخنف، وروى عنه أبو حاتم السجستاني وأبو الفضل الرياشي وإسحاق بن محمد النعنعي وغيرهم.

وقدم بغداد وحدث بها وأخذ عنه أهلها، إلى أن قال: وتوفي سنة ثمان وعشرين ومائتين – رحمه الله تعالى.

٤- وإذا حاول أحد القوم أن يقول: إن العتبى الذي في الرواية ليس هو العتبى الذي تقصدون فيرد عليهم بما يلي:

يقول الشيخ السبكي – وهو أحد القوم الذين يجيزون التوسل

بالمخلوقين – في كتابه: (شفاء السقام في زيارة خير الأنام) العتبى، واسمه: محمد بن عبدالله بن عمر بن معاوية بن عمر بن عتبة بن أبي سفيان صخر بن حرب كان من أفصح الناس رواية للأدب وحدَّث عن أبيه، وسفيان بن عيينة توفي سنة ثمان وعشرين ومائتين، يكنى أبا عبدالرحمن. ا.هـ. كلام السبكي.

وترجمته للعتبى بعد أن ذكر روايته عن الأعرابي مستدلاً بها في كتابه على جواز التوسل بذوات المخلوقين، علماً بأن العتبى المترجم له متأخر عن العتبي الذي ألصقوه بالرواية – زوراً وبهتاناً – بما يزيد عن مائتي سنة.

قال ابن عبدالهادي في كتابه: (الصارم المنكي في الرد على السبكي): وأما حكاية العتبي التي أشار إليها – السبكي – حكاية ذكرها بعض الفقهاء والمحدثين، وليست بصحيحة ولا ثابتة إلى العتبي.

وقد رويت عن غيره بإسناده مظلم .. وهي في الجملة حكاية لا يثبت بها حكم شرعي، لا سيما في مثل هذا الأمر الذي لو كان مشروعاً مندوباً لكان الصحابة والتابعون أعلم به وأعمَل به من غيرهم وبالله التوفيق. أ.هـ.

وفي جميع الروايات: لا يسمون الأعرابي وبهذا ففيه جهالة لا تصلح القصة أو الرواية معها للاحتجاج.

وفي بعض الروايات عن الأعرابي أنه قال:

يا خير من دُفنت بالقاع أعظمه ... فطاب من طيبهن القاع والأكم

نفس الفداء لقبر أنت ساكنه ... فيه العفاف وفيه الجود والكرم

أنت النبي الذي ترجى شفاعته ... عند الصراط إذا ما زلت القدم

إن القوم متخبطون تخبطاً شديداً لدرجة أنهم يروون ما يكون حجة عليهم ولا يفطنون له.

فالرواية هذه على لسان الأعرابي تبين أن الشفاعة لا تُرجى من الرسول ﷺ إلا عند الصراط في الآخرة فكيف يطلبها في الدنيا كما ذكرت الرواية الأخرى؟

فهذا التناقص والتخبط من أكبر الأدلة على وضع هذه القصة وبطلانها ألا وإن باب المتاب مفتوح أمام الخلق جميعاً فمن تاب تاب الله عليه وبدل سيئاته حسنات، ومن أصر على معاصيه وكذبه على الله وعلى رسوله ﷺ فعليه من الله ما يستحقه من عذاب ولا يلومن العبد إلا نفسه.

***

قال المؤلف صـ٣٣: «وقد ثبت توسل النبي ﷺ بالأنبياء قبله»: فقد أخرج الطبراني في المعجم الكبير والأوسط عن أنس بن مالك – رضي الله عنه – قال: لما ماتت فاطمة بنت أسد بن هاشم – أم علي بن أبي طالب – دخل عليها رسول الله ﷺ فجلس عند رأسها فقال: «**رحمك الله يا أمي بعد أمي**» .. الحديث وفيه: (فلما بلغوا اللحد حفره رسول الله ﷺ بيده، وأخرج ترابه بيده، فلما فرغ، دخل رسول الله ﷺ فاضطجع فيه ثم قال: «**الله الذي يحي ويميت – وهو حي لا يموت – اغفر لأمي فاطمة بنت أسد ولقنها حجتها ووسع عليها مدخلها بحق نبيك والأنبياء الذين من قبلي، فإنك أرحم الراحمين، وكبَّر عليها أربعاً وأدخلوها اللحد هو والعباس وأبو بكر الصديق – رضي الله عنهم**» – وهو حديث حسن.

قال الهيثمي في مجمع الزوائد ٩/ ٢٥٧ رواه الطبراني في الكبير والأوسط – وفيه روح بن صلاح – لم يذكر سبب جرحه، ولم يفسره فيكون جرحاً

مبهماً فيردُّ في مقابل التعديل والتوثيق المذكور قبله.

الحكم على متن هذا الحديث:

علمنا فيما سبق حرمة التوسل بذوات المخلوقين، خاصة الإقسام على الله بهم أو بحقهم. وهذه الحرمة من خلال أدلة شرعية سبق ذكرها.

ولا يعقل أن الرسول ﷺ ينهى عن التوسل بذوات المخلوقين ويأتي مثله؛ لأنه معصوم من الأخطاء أو النهي عنها والإتيان بمثلها قال جل وعلا: ﴿ وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ ٱلْأَقَاوِيلِ ﴿٤٤﴾ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِٱلْيَمِينِ ﴿٤٥﴾ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ ٱلْوَتِينَ ﴿٤٦﴾ فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَٰجِزِينَ ﴿٤٧﴾ ﴾[1].

وإذا تقرر أن الرسول ﷺ معصوم ولا يخالف فعله قوله تأكد لنا أنه لا ينهى عن التوسل بذوات المخلوقين أو بجاههم ثم يتوسل هو بنفسه أو بحقه على الله وبحق أنبيائه وقد عَلَّم الأمة أنه لا حق لمخلوق على الخلاق العليم. وبناءً على هذا لا يعقل أن يقول بعد ذلك: «... اغفر لأمي فاطمة بنت أسد بحق نبيك والأنبياء الذين من قبلي ..».

وإذا تبين ضعف ووضع هذا الحديث من جهة المتن، فإليك ما قيل عن سنده حتى يشتد بطلانه ووضعه.

ما قيل عن سند هذا الحديث:

هذا الحديث غير صحيح لأن في السند رجلاً هو (روح بن صلاح) قد ضعفه الجمهور، ومن أسباب ذلك: أنه روى أحاديث منكرة كما صرح بذلك: ابن يونس وابن عدي.

---

(١) سورة الحاقة، الآيات: ٤٤-٤٧.

وعلى هذا فالحديث باطل الحجة متناً وسنداً، وبالتالي: تبطل دعواهم بجواز التوسل إلى الله تعالى بذوات المخلوقين وعلت حجة أهل التوحيد، ودمغت الباطل فإذا هو زاهق.

ويبدو أن القوم كان نهجهم – ولا يزال – البحث عن الأحاديث الواهية والواهنة التي تزداد ضعفاً حجتهم بسبب استنادها إليها ففاقد الشيء لا يعطيه.

نسأل الله عز وجل أن يردهم إلى الحق رداً جميلاً، وأن يرزقنا جميعاً الثبات على الحق والبعد عن الباطل وعدم التأثر بشبهه إنه وحده المستعان ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

❊❊❊

يقول المؤلف صـ٣٣، ٣٤: وقد علمنا النبي ﷺ دُعاءً في التوسل بقوله المسلم إذا خرج إلى الصلاة .. فعن أبي سعيد الخدري – رضي الله عنه – قال: قال رسول الله ﷺ: «**من خرج من بيته إلى الصلاة فقال: اللهم إني أسألك بحق السائلين عليك، وأسألك بحق ممشاي هذا فإني لم أخرج أشراً ولا بطراً ولا رياءً ولا سمعة، وخرجت اتقاء سخطك وابتغاء مرضاتك فأسألك أن تعيذني من النار، وأن تغفر ذنوبي، إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت، أقبل الله عليه بوجهه واستغفر له سبعون ألف ملك**».

أخرجه ابن ماجة وأحمد وابن خزيمة وصححه، والطبراني وابن السني والبيهقي، وابن أبي شيبة وإسناده حسن. وقد حسنه جمع من الحفاظ منهم الحافظ الدمياطي والحافظ أبو الحسن المقدسي شيخ الحافظ المنذري، والحافظ العراقي، والحافظ ابن حجر العسقلاني – رحمهم الله تعالى.

ما قيل في هذا الحديث:

إن هذا الحديث ضعيف؛ لأن في سنده عطية بن سعيد العوفي.

قال الذهبي: ضعيف. وقال أبو حاتم: يكتب حديثه ضعيفاً. وقال سالم المرادي كان عطية يتشيع. وقال ابن معين: صالح. وقال أحمد: ضعيف الحديث. وبلغني أن عطية كان يأتي (الكلبي) فيأخذ عنه التفسير، وكان يكنيه بأبي سعيد؟ فيقول: قال أبو سعيد!! يوهم أنه أبو سعيد الخدري! قال النسائي: ضعيف. وقال ابن حجر: صدوق يخطئ كثيراً، شيعي مدلس من الثالثة مات سنة ١١١هـ.

هذا هو واقع هذا الحديث وحاله، وإن عطية هذا: شيعي مدلس

ضعيف. وأن مثله لا يحتج به للعلل التي تأكدها فيه أهل الحديث، فحديث في سنده عطية بن سعيد العوفي، هو حديث محكوم عليه بالضعف ولا يصلح لأن يكون حجة.

وكل دعوى بصحته أو حسنه، تظل دعوى مجردة عارية عن الدليل، ولا يثبت بها حكم.

وروى هذا الحديث: أبو بكر بن السني في كتابه (عمل اليوم والليلة) وقال: حدثنا ابن منيع، ثنا الحسن بن عرفة، ثنا علي بن ثابت الجريري عن الوازع بن نافع العقيلي عن أبي سلمة بن عبدالرحمن عن جابر بن عبدالله، عن بلال مؤذن رسول الله ﷺ قال: «كان رسول الله ﷺ إذا خرج إلى الصلاة قال: بسم الله، آمنت بالله، توكلت على الله، لا حول ولا قوة إلا بالله، اللهم بحق السائلين عليك، وبحق مخرجي هذا فإن لم أخرج أشراً، ولا رياءً ولا سمعة، خرجت ابتغاء مرضاتك واتقاء سخطك، أسألك أن تعيذني من النار وتدخلني الجنة».

هكذا رواه ابن السني عن بلال مؤذن رسول الله ﷺ قال النووي في الأذكار: حديث ضعيف، فإن أحد رواته «الوازع بن نافع» وهو متفق على ضعفه، وإنه منكر الحديث.

وقال الحافظ في شرح الأذكار بعد تخريجه من طريق ابن السني بهذا اللفظ: هذا الحديث واهٍ وقال الدار قطني: تفرد به الوازع وهو متفق على ضعفه، وإنه منكر الحديث. قال الحافظ: والقول فيه: أشد من ذلك. وقال ابن معين والنسائي: ليس بثقة. وقال أبو حاتم متروك. وقال الحاكم: روى

أحاديث موضوعة. وقال ابن عدي أحاديثه كلها غير محفوظة. وقال البخاري: منكر هذا الحديث. وقال الهيثمي في مجمع الزوائد: وهو ضعيف. وقال أيضاً: وهو متروك ومجمع على ضعفه.

فالحديث من الطريقين شديد الضعف فلا يحتج به للعلل التي ذكرت، والمحتجون به يحاولون بكل السبل المعوجة أن يثبتوا جواز التوسل بذوات المخلوقين من عبارة: «اللهم بحق السائلين عليك».

قال بعض أهل العلم: «على فرض صحة الحديث: فإنه لا يؤيد مدعاهم لأن حق السائلين على الله أن يجيبهم لقوله تعالى: ﴿ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ (١)، فكأنها توسلوا إلى الله تعالى بصفة الإجابة التي هي صفة من صفات الله، وهذا من أعلى درجات التوسل المشروع.

فإن قيل: فأي فرق بين قول الداعي: بحق السائلين عليك، وبين قوله بحق نبيك أو نحو ذلك؟ فالجواب:

إن معنى قوله (بحق السائلين عليك): بالإجابة، وأنا من جملة السائلين، فأجب دعائي بخلاف قوله: بحق فلان، فإن فلاناً وإن كان له حق على الله بوعده الصادق – فلا مناسبة بين ذلك وبين إجابة دعاء هذا السائل، فكأنه يقول: لكون فلان من عبادك الصالحين أجب دعائي!! وأي مناسبة في هذا وأي ملازمة؟ وإنما هذا من الاعتداء في الدعاء، وقد قال تعالى: ﴿ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿٥٥﴾﴾ (٢).

---

(١) سورة غافر، الآية: ٦٠.

(٢) سورة الأعراف، الآية: ٥٥.

وهذا الدعاء سالف الذكر وأشباهه من الأدعية المبتدعة، إذ لم يثبت عن النبي ﷺ ولا عن الصحابة ولا عن أحد ممن يقبل قوله شرعاً.

ولا شك أن الدعاء من أفضل العبادات، وهي مبنية على السنة والاتباع لا على الهوى والابتداع، قال تعالى: ﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴾ (١). وقال عز وجل: ﴿ أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِنۢ بَعْدِ ٱللَّهِ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾ (٢).

ومن رحمة الله بنا أن جعل باب التوبة مفتوحاً، وكل معصية ما خلا الوفاة على الشرك إن تاب فاعلها تغفر، وإن مات صاحبها بلا توبة فإن أمره مفوض إلى الله تعالى، إن شاء عفا عن صاحبها وإن شاء عذبه، ثم مصيره إلى دار السلامة من الآفات ﴿ ۞ لَهُمْ دَارُ ٱلسَّلَٰمِ عِندَ رَبِّهِمْ ۖ وَهُوَ وَلِيُّهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٢٧﴾ ﴾ (٣).

***

توسل آدم بمحمد – عليهما الصلاة والسلام – يقول: المؤلف صـ٣٤، ٣٥: وروى أنه توسل آدم – عليه السلام – بالنبي ﷺ قبل إبراز جسده الشريف: فعن عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – قال: قال رسول الله ﷺ: **«لما اقترف آدم الخطيئة قال: يا رب أسألك بحق محمد إلا غفرت لي فقال الله:**

---

(١) سورة الحشر، الآية: ٧.

(٢) سورة الجاثية، الآية: ٢٣.

(٣) سورة الأنعام، الآية: ١٢٧.

يا آدم، وكيف عرفت محمداً ولم أخلقه؟ قال: يا رب لما خلقتني بيدك، ونفخت فيَّ من روحك، رفعت رأسي فرأيت على قوائم العرش مكتوباً لا إله إلا الله محمد رسول الله، فعلمت أنك لم تضف إلى اسمك إلا أحب الخلق إليك، فقال الله: صدقت يا آدم، إنه لأحب الخلق إليَّ وإنك إذ دعوتني بحقه فقد غفرت لك، ولولا محمد ما خلقتك» [(١)].

من المعلوم أن آدم – عليه السلام – قد اقترف الخطيئة، وأن الله عز وجل قد اجتباه فتاب عليه وهداه إلى ما يرضي رب الأرباب جل وعلا والواجب علينا نحن المسلمين أن نعلم الأسباب التي سلكها حتى أكرمه ربه سبحانه وتعالى فغفر له خطيئته وأتم عليه نعمته بقبول توبته حتى إذا أخطأ أحدنا سلك طريقه الصحيح حتى يتوب الله عليه كما تاب على أبي البشر – عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام.

وهذا هو المنهج الحق الذي سار عليه الأنبياء والمرسلون – عليهم الصلاة والسلام – وسار عليه من بعدهم: التابعون لهم بإحسان.

يقول المولى تبارك وتعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ ۖ فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿٥٩﴾ ﴾ [(٢)]. والمنهج الحق يكون على ركنين واضحين في قوله ﷺ «**تركت فيكم ما إن تمسكتم**

---

(١) رواه الحاكم وصححه، والبيهقي في الدلائل، وقال: تفرد به عبدالرحمن بن زيد بن أسلم، وذكره ابن كثير في البداية والنهاية (١/ ١٨٠) ولم يحكم بوضعه.

(٢) سورة النساء، الآية: ٥٩.

بهما لن تضلوا بعدي أبداً كتاب الله وسنتي» [١].

ومن سنة الله الجارية في الكون إلى أن تقوم الساعة، أن الحق والباطل في صراع. وأهل الباطل في صراع مع أهل الحق، فالأولون يقولون: إن آدم – عليه السلام – توسل إلى الله تعالى بمحمد ﷺ حتى غفر الله له خطيئته (كما سبق في الحديث) وأهل الحق يقولون: إن الله تعالى غفر له بكلمات تلقاها من ربه فتاب عليه ولم تكن المغفرة بسبب توسله بمحمد ﷺ لأن التوسل بذوات المخلوقين ممنوع شرعاً.

والكلمات التي تلقاها آدم من ربه فتاب عليه، بيانها كما يلي:

أ- روى ابن أبي حاتم حديثاً مرفوعاً عن مجاهد قال: الكلمات: اللهم لا إله إلا أنت سبحانك وبحمدك، رب إني ظلمت نفسي فاغفر لي إنك خير الغافرين. اللهم لا إله إلا أنت سبحانك وبحمدك، رب إني ظلمت نفسي فتب علي إنك أنت التواب الرحيم.

ب- وعن ابن عباس – رضي الله عنهما – قال: قال آدم – عليه السلام – ألم تخلقني بيدك؟ قيل له: بلى، ونفخت فيّ من روحك؟ قيل له: بلى. وكتبت عليّ أن أعمل هذا .. قيل له: بلى. قال: أفرأيت إن تبت هل أنت راجعي إلي الجنة؟ قال: نعم. وكذا رواه سعيد بن جبير، وسعيد بن معبد، ورواه الحاكم في مستدركه إلى ابن عباس.

ج- وقال سفيان الثوري عن عبدالعزيز بن رفيع: أخبر من سمع عن

---

(١) صحيح مسلم ٢٤٠٨، السنة الكبرى للنسائي: ٨١٧٥، المسند: ٤/ ٣٦٦، شرح مشكل الآثار، ح٣٤٦٤.

مجاهد عن عبيد بن عمير أنه قال: قال آدم: يا رب خطيئتي التي أخطأت شيء كتبته عليَّ قبل أن تخلقني، أو شيء ابتدعته من قبل نفسي؟ قال: بل شيء كتبته عليك قبل أن أخلقك. قال: فكما كتبته عليّ فاغفره لي. قال: فذلك قوله تعالى: ﴿ فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٣٧﴾ ﴾ (١).

د- وروى مجاهد، وسعيد بن جبير، وأبو العالية، والربيع بن أنس، والحسن وقتادة، ومحمد بن كعب القرظي، وخالد معدان، وعطاء الخراساني، أن هذه الكلمات التي تلقاها آدم من ربه هي قوله تعالى: ﴿ قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾ ﴾ (٢).

إن آدم وحواء – عليهما السلام – سلكا طريق التوسل المشروع وبدايته هنا: الاعتراف بالذنب، ثم طلبا من الله المغفرة متوسلين إلى الله تعالى بالتوبة فتاب عليهما إنه هو التواب الرحيم.

ولا ينبغي الالتفات إلى غير ذلك من الأقوال الضعيفة أو الموضوعة لا تثبت عند التمحيص العلمي.

فالحق: أن الله قد غفر لآدم وحواء – عليهما السلام – بسبب الكلمات التي تلقاها آدم من ربه وهي: ﴿ قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾ ﴾ وأقوى الأدلة ما كان تفسيراً يفسره تفسير.

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٣٧.

(٢) سورة الأعراف، الآية: ٢٣.

أما المخالفون فقد استدلوا بالحديث المتقدم المروي عن عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – فإنه شديد الضعف وقيل: إنه موضوع وسنبين ذلك فيما يلي:

الحكم على متن الحديث:

هذا المتن دلائل الضعف والوضع بادية عليه كما أن لفظه مخالف للكتاب والسنة وبيان ذلك فيما يلي:

١- إن الإقسام على الله تعالى بشيء من مخلوقاته أمر في غاية الخطر لأنه يقترب من الشرك. فالإقسام على الله تعالى بمحمد ﷺ لا يجوز وإن كان أفضل المخلوقات جميعاً؛ لأن الحلف بمخلوق على مخلوق شرك؛ لأنه حلف بغير الله فمن باب أولى: يحرم الحلف على الله بمخلوقاته؛ لأن فيه جعل المخلوق بمنزلة الخالق، والخالق بمنزلة المخلوق، لأن المحلوف به أعظم من المحلوف عليه، ولذلك كان الحلف بالشيء دليلاً على عظمته، وأنه أعظم شيء عند المحلوف عليه به.

ومن هنا كان الحلف بالمخلوق على الله شركاً بالله؛ لأننا خصصنا هذه المكانة العُليا بالمخلوق مع أنها هي بالخالق أولى.

وآدم – عليه السلام – من الأنبياء المعصومين قبل النبوة وبعدها فكيف يحلف على الله بحق محمد ﷺ؟ أفيتقرب إلى الله بخطيئة أعظم من الخطيئة التي يود غفرانها،؟ وهل يُمحى الخطأ بخطأ أعظم منه؟

٢- يقول في الحديث المذكور: «يا آدم وكيف عرفت محمداً ولم أخلقه؟ قال: يا رب إنك لما خلقتني رفعت رأسي فرأيت على قوائم العرش مكتوباً: (لا إله إلا الله محمد رسول الله) فعلمت أنك لم تضف إلى اسمك إلا أحب الخلق إليك)».

- هذا الحوار المزعوم بين الله وبين آدم كان بعد اقتراف الخطيئة ولكنه قبل أن يخطئ علمه الله الأسماء كلها، ومن جملة الأسماء اسم محمد ﷺ وعلم أنه نبي ورسول وأنه خير الخلق أجمعين فكان الأجدر أن يقول آدم – عليه السلام – ربي إنك أعلمتني به أنه كذلك .. لما عملتني الأسماء كلها ..
- لم يرد أن قوائم العرش مكتوب عليها: لا إله إلا الله محمد رسول الله إلا في هذا الحديث الموضوع، فكيف يثبت شيء غيبي بحديث مكذوب؟

٣- قول الحديث: «فقال الله تعالى صدقت يا آدم إنه لأحب الخلق إلي وإذا سألتني بحقه فقد غفرت لك».

هذه صيغة قسم شركية، وآدم – عليه السلام – معصوم من الخطأ شأنه كشأن باقي الأنبياء – عليهم الصلاة والسلام – وقد بين ﷺ أن الحلف بغير الله شرك حيث قال: «من حلف بغير الله فقد أشرك» [1]. وهل يعقل أن

---

(١) سنه أبي داود، ح٣٢٥١، سنه الترمذي ١٥٣٥، مسند الطيالسي، ح ١٨٩٦، مصنف عبدالرزاق، ح١٥٩٢٦، المسند ٢/ ٣٤، صحيح ابن حبان، ح ٤٣٥٨، المستدرك ١/ ١٨ من حديث ابن عمر.

الإسلام ينهي عن الشرك ثم يقبل الله تعالى الشرك وسيلة من آدم يتوسل بها ليغفر الله له؟

إن الله عز وجل لا يرضى عن الشرك وأهله، قال تعالى: ﴿إِن تَكْفُرُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنكُمْ ۖ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلْكُفْرَ ۖ﴾ (١).

فإذا كان الله جل وعلا لا يرضى لعباده الكفر، فهل يرضى أن يعلمهم الكفر كوسيلة من الوسائل التي يتوسلون بها للحصول على المغفرة؟ نشهدك يا ربنا أن هذا إفك مبين.

٤- ورد في الحديث المذكور: أن الله تعالى قال له: «ولولا محمد ما خلقتك» هذا كلام يتنزه الله عز وجل عن قوله، بدليل:

- قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ (٢).
- قوله تبارك شأنه: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًا ﴿١٢﴾﴾ (٣).

فالواضح من خلال هاتين الآيتين الكريمتين: أن الحكمة من خلق الخلائق: إنما هي من أجل عبادة الله تعالى وحده لا شريك له، لا من أجل أحد من الخلق: لا محمد ﷺ ولا غيره. وهناك حكمة أخرى من الخلق وهي أن يعلم الخلق أن الله قادر على كل شيء إحياء وإماتة ولا حدود لتلك

---

(١) سورة الزمر، الآية: ٧.

(٢) سورة الذاريات، الآية: ٥٦.

(٣) سورة الطلاق، الآية: ١٢.

القدرة، وأن الله لا يخفى على علمه شيء في الأرض ولا في السماء.

هذه هي الحكم الأساسية من خلق الخلق، أما قولهم: «ولولا محمد ما خلقتك» فهو متعارض مع آيات القرآن، والأحاديث المقبولة عن النبي ﷺ وكل ما يتعارض مع الكتاب والسنة فهو باطل مردود لا يصلح للاحتجاج والاستدلال، ولذا فهو وبال عليهم وليس رحمة بهم.

والعجيب حقاً أنهم يدعون حب الله ورسوله، ومن لا يقبل باطلهم يتهمونه بأنه لا يحب الله ورسوله، وبأنه متشدد، وأنه .. وأنه.

إننا نقول لهم: تعالوا يا قوم إلى كتاب الله تعالى بيننا وإلى سنة المعصوم ﷺ فما وافقهما عملنا به جميعاً وما عارضهما أو عارض واحداً منهما طرحناه.

قال عز وجل: ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣١﴾ قُلْ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٢﴾ ﴾ [1] . وقال تبارك وتعالى: ﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴾ [2].

ما قاله العلماء في سند الحديث:

هذا الحديث ضعيف لأن في سنده عبدالرحمن بن زيد بن أسلم. وتصحيح الحاكم له خطأ ولا قيمة له؛ لأن الحاكم نفسه هو الذي طعن في

---

(١) سورة آل عمران، الآيتان: ٣١، ٣٢.

(٢) سورة الحشر، الآية: ٧.

عبدالرحمن بن زيد بن أسلم في كتابه «الضعفاء». قال شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله: ورواية الحاكم لهذا الحديث مما أُنكر عليه. فإنه نفسه قد قال في كتابه: «المدخل إلى معرفة الصحيح من السقيم: عبدالرحمن بن زيد بن أسلم روى عن أبيه أحاديث موضوعة لا يخفى على من تأملها من أهل الصنعة أن الحمل فيها عليه».

وقال ابن تيمية – رحمه الله تعالى: «عبدالرحمن بن زيد بن أسلم ضعيف باتفاقهم، يغلط كثيراً ضعفه أحمد بن حنبل وأبو زرعة، وأبو حاتم، والنسائي، والدار قطني وغيرهم. وقال أبو حاتم بن حبان: كان يقلب الأخبار، وهو لا يعلم، حتى كثر ذلك من روايته من رفع المراسيل، وإسناد الموقوف فاستحق الترك.

حكم انفراد الحاكم بالتصحيح:

قال ابن تيمية – رحمه الله تعالى – وأما تصحيح الحاكم لمثل هذا الحديث وأمثاله فهذا مما أنكره عليه أهل العلم والمعرفة بالحديث. وقالوا: إن الحاكم يصحح أحاديث وهي موضوعة مكذوبة عند أهل العلم والمعرفة بالحديث، كما صحح حديث زريب بن برثملي الذي فيه ذكر (وصى المسيح) وهو كذب باتفاق أهل المعرفة كما بين ذلك البيهقي وابن الجوزي وغيرهما.

وكذلك أحاديث كثيرة في مستدركه يصححها وهي عند أهل العلم بالحديث موضوعة. ومنها ما يكون موقوفاً يرفعه. ولهذا كان أهل العلم بالحديث لا يعتمدون على مجرد تصحيح الحاكم، وإن كان غالب ما يصححه فهو صحيح. لكن هو في المصححين، بمنزلة الثقة الذي يكثر غلطه، وإن كان

الصواب أغلب عليه، وليس فيمن يصحح الحديث، أضعف من تصحيحه، بخلاف أبي حاتم بن حبان البستي فإن تصحيحه، فوق تصحيح الحاكم وأجل قدراً، وكذلك تصحيح الترمذي، والدار قطني وابن خزيمة وابن منده وأمثالهم فيمن يصحح الحديث. فإن هؤلاء وإن كان في بعض ما ينقلونه نزاع فهم أتقن في هذا الباب من الحاكم. اهـ.

يقول بعض العلماء: اتفق العلماء على أن الحاكم إذا انفرد بالتصحيح لا قيمة لتصحيحه إلا إذا وافقه الذهبي. فللذهبي على المستدرك للحاكم ملاحظات هامة في إعلال أحاديث وتصحيحها.

وبناءً على هذا فإن الحديث باطل من جهة المتن والسند، ولم يعد يصلح للاحتجاج به وتحرم روايته إلا إذا قصد التنبيه على ما فيه من كذب وافتراء.

والذي جاءوا به للاحتجاج به على صحة دعواهم بجواز التوسل بذوات المخلوقين أحد أمرين:

- إن كانوا يعلمون ما فيه من كذب وافتراء فهم ممن اتخذوا أهواءهم آلهة يعبدونها من دون الله – والعياذ بالله من ذلك.
- وإن كانوا يجهلون ما فيه من طامات فالواجب عليهم شرعاً أن يسألوا أهل الاختصاص ﴿ فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [1].

أما الإمعان في الضلال والإصرار عليه، فعواقبهم عند الله وخيمة، وقد

(١) سورة النحل، الآية: ٤٣.

شبههم القرآن بقوله: ﴿ مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُواْ ٱلتَّوْرَىٰةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًۢا ۚ بِئْسَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٥﴾ ﴾ (١).

فليعودوا إلى رشدهم، وليتوبوا إلى الله من ذنوبهم قبل أن يحل بهم الوعيد الوارد في قوله تعالى: ﴿ وَيَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ تَرَى ٱلَّذِينَ كَذَبُواْ عَلَى ٱللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ ۚ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٦٠﴾ ﴾ (٢).

قال المؤلف صـ٣٥: «وأخبر النبي ﷺ أن أمته يستنصرون بأصحابه وأتباعه فينصرون»..

فقد أخرج أبو يعلى الموصلي في مسنده – بسند صحيح عن جابر – رضي الله عنه – أن رسول الله ﷺ قال: «ليأتين على الناس زمان يخرج الجيش من جيوشهم فيقال: هل فيكم أحد صحب محمداً فتستنصرون به فتنصروا؟ ثم يقال: هل فيكم من صحب محمداً (٣)؟ فيقال: لا. ثم يقال: هل فيكم من صحب أصحابه؟ فيقال: لا. فيقال: مَنْ رأى من صحب أصحابه؟ فلو سمعوا به من وراء البحر لأتوه». وفي رواية: «ثم يبقى قوم يقرءون القرآن لا يدرون ما هو» (٤).

---

(١) سورة الجمعة، الآية: ٥.

(٢) سورة الزمر، الآية: ٦٠.

(٣) العبارة مكررة ولعل ذلك من الناسخ.

(٤) قال الهيثمي في مجمع الزوائد ١٠/ ١٨ رجاله رجال الصحيح، وفيه استحباب التوسل بذوات الصالحين.

وأقول: لقد مر في الصفحات السابقة ما لو عدنا إليه وقرأناه بتدبر لكفانا مؤنة الرد على هذا الحديث على افتراض صحته.

وليس في هذا الحديث ما يصلح لاستدلالهم به على جواز التوسل بذوات الصالحين؛ لأن الصالحين أحد أمرين:

- إن كانوا أحياء فيجوز أن يطلب المرء منهم أن يدعوا له، وهذا أمر ورد في السنة كثيراً، والرسول نفسه ﷺ طلب من عمر – رضي الله عنه – أن يدعو له. وإذا كان ﷺ ليس بحاجة إلى دعاء أحد، ولكنه طلب ذلك مبالغة في تواضعه العظيم، وليغرس في قلوب أتباعه تواضع النفوس وتآلف القلوب.
- وإذا كان الصالحون أمواتاً فلا يجوز التوسل بهم ولا طلب الدعاء منهم؛ لأنهم بموتهم قد انقطعت أعمالهم وصاروا في دار الجزاء، ثم إنهم لا يسمعون من يتوسل بهم أو يطلب الدعاء منهم قال عز وجل: ﴿ وَمَا يَسْتَوِي ٱلْأَحْيَآءُ وَلَا ٱلْأَمْوَٰتُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُسْمِعُ مَن يَشَآءُ ۖ وَمَآ أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِى ٱلْقُبُورِ ﴿٢٢﴾ ﴾[1].

قال المؤلف صـ٣٦: «وكان النبي ﷺ يستفتح بصعاليك المهاجرين» قال الهيثمي ١٠/ ٢٦٢، رواه الطبراني من طريقين ورجال أحدهما: رجال الصحيح .. وهذه العبارة لا تصلح دليلاً على ما ذهبوا إليه من التوسل بذوات المخلوقين، بل هو من باب التكريم لفقراء المهاجرين الذين أوقفوا حياتهم لهذا الدين ورغبوا فيما عند الله تعالى قال جل وعلا: ﴿ مَا عِندَكُمْ

(١) سورة فاطر، الآية: ٢٢.

يَنفَدُ ۗ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ بَاقٍ ۗ وَلَنَجْزِيَنَّ ٱلَّذِينَ صَبَرُوٓا۟ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾﴾ (١).

فلا عجب أن يؤمر بمجالستهم وأن يتعهدهم بالتوجيه والمؤانسة وأن يسأل الله تعالى أن يكرم المجاهدين بالنصر إكراماً لهم وبهم، وقال جل وعلا: ﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِىِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا ﴿٢٨﴾﴾ (٢).

قال المؤلف صـ٣٦: فإن قيل: لم استسقى عُمر بالعباس – رضي الله عنهما – كما ثبت في الصحيح وترك الاستسقاء برسول الله ﷺ؟

فالجواب: توسل عمر بالعباس – رضي الله عنهما – ليبين للناس مشروعية التوسل بغير الأنبياء – عليهم السلام – وأنه جائز ولا حرج في فعله، وإنما خص العباس من بين سائر الصحابة لإظهار شرف أهل البيت.

ولو أنه توسل بالنبي ﷺ لجاء من يقول: التوسل بغير الأنبياء لا يجوز، ولو كان جائزاً لفعله الصحابة – رضي الله عنهم.

وأجاب المحقق المالكي – جزاه الله خيراً – وغيره بأن في فعل عمر: ترك التوسل به ﷺ مع قيام المقتضي – وهو شدة الحاجة – والترك لا يدل على التحريم أو الكراهية، وإنما يفيد الترك: أن المتروك جائز تركه فقط أما التحريم أو الكراهية، فهذا يحتاج لدليل آخر يفيد الحظر.

وإن الصحابة قد تركوا التوسل المتفق على جلالته وفضله وهو التوسل

---

(١) سورة النحل، الآية: ٩٦.

(٢) سورة الكهف، الآية: ٢٨.

بأسماء الله وصفاته وهم مضطرون لحال الشدة والقحط، فهل تركهم لذلك يدل على تحريمه؟

وإن قول عمر – رضي الله عنه: «وإنا نتوسل إليك بعم نبينا» لا يخرج عن كونه توسلاً بالنبي ﷺ فقد قال العباس في دعائه: «وقد توجه القوم بي إليك لمكاني من نبيك».

فتوسل عمر به فيه إرضاء للنبي ﷺ واقتداء به في إكرام عمه واتخاذه وسيلة لقربه ثم مع هذا رجاء دعائه لصلاحه.

وأقول:

١- إذا كان المقصود بتوسل عمر بالعباس – رضي الله عنهما – هو طلبه من العباس أن يدعو الله عز وجل أن يسقي الناس فهذا أمر مشروع، وإن كان المقصود: التوسل بذوات المخلوقين فهذا باطل قد ثبت بطلانه مراراً فيما سبق. ولو أن عمر توسل بالنبي ﷺ بعد وفاته لكان قد فعل منكراً، وحاشا عمر – رضي الله عنه – أن يفعل ذلك، ولو فعل ذلك على فرض المحال لنهاه جميع الصحابة – رضي الله عنهم – عن فعله، وما استحقت الأمة الخيرية إلا بأمور ثلاثة .. قال جل وعلا: ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿١١٠﴾ ﴾[1].

٢- وما يسميه المؤلف بالمحقق المالكي: فإن كان يقصد (محمد علوي

(١) سورة آل عمران، الآية: ١١٠.

المالكي) صاحب كتاب (مفاهيم يجب أن تصحح) فلا يستحق لقب المحقق إلا إذا كان يقصد بالتحقيق: تأصيل الأحاديث الضعيفة والموضوعة والدفاع عنها. وإن كان يقصد شخصاً آخر ففيه جهالة لا يُعتد بتحقيقه.

٣- هذا المالكي يقول – كما أشار المؤلف – بأن ترك عمر للتوسل به ﷺ، والترك لا يدل على التحريم أو الكراهية، وإنما يفيد الترك أن المتروك جائز تركه فقط، أما التحريم أو الكراهية فهذا يحتاج لدليل آخر يفيد الخطر.

وأقول: إن هذا الأسلوب الملتوي لا يغني من الحق شيئاً، ولو كان الأمر كما يدعي المالكي لفعله الصحابة تارة وتركوه أخرى، أما إذا تركوه جملة وتفصيلاً فإن هذا الترك يعني أنه حرام، ورغب الإسلام في سد منافذ الفتنة التي تؤدي بسالكها إلى الشرك.

أرأيت أخا الإسلام كيف بدأت الوثنية والوقوع في الشرك؟ إن المشركين لم يشركوا بين عشية أو ضحاها ولكن بدأوا بأمر يسير في نظر الكثيرين وهو ما يسمى بتخليد الذكرى.

فالخمسة الصالحون الذين ماتوا في وقت يسير وحزنت البشرية لفقدهم واشتد حزنها فسول لهم اللعين أن ينحتوا تماثيل خمسة بعددهم وعلى هيئتهم إذا نظروا إليها كانت تسلية لهم وتخفيفاً لما يجدونه في قلوبهم وبتقادم العهد توهم أحفادهم أن أجدادهم ما كانوا يترددون على التماثيل للتسلية عما فقدوه ولكن كانوا يعبدونها من دون الله فعبدت.

ورأينا كيف تصرف الصحابة – رضوان الله عليهم – في جسد دانيال – عليه السلام – وأنهم بالغوا في سد منافذ الفتنة التي تؤدي إلى الشرك في نهاية المطاف فحفروا قبوراً كثيرة ثم دفنوه في أحدها حتى لا يعرف الناس قبره على وجه التحديد فيتخذ بتقادم العهد مسجداً أو يعبد دانيال من دون الله تعالى.

٤- الصحابة – رضي الله عنهم – ما تركوا التوسل بأسماء الله وصفاته ولكن كانوا يتوسلون تارة بأسماء الله وصفاته وتارة أخرى يتوسلون بدعاء بعض صالحيهم من الأحياء، ومن قرأ المأثورات الصحيحة تبين له الأمر بما لا خفاء معه.

٥- وقوله: «وإن قول عمر – رضي الله عنه – (وإنا نتوسل إليك بعم نبينا) لا يخرج عن كونه توسلاً بالنبي ﷺ)».

وأقول: هذه مغالطة مكشوفة لأن هناك فرق بين توسل الصحابة – رضي الله عنهم – بدعاء العباس وهو حي، وبين توسلهم بالنبي ﷺ بعد موته، وقد تبين لنا سابقاً مشروعية الأول والنهي عن الثاني، فكيف نشبه المشروع بغيره؟

يقول المؤلف صـ٣٧: فإن قيل: هل ثبت أن نفعاً أجراه الله تعالى على يد من هو في البرزخ للأحياء حياة دنيوية؟

فالجواب: نعم، ففي حديث الإسراء والمعراج في الصحيحين وغيرهما أن سيدنا موسى – عليه السلام – كان سبباً في تخفيف الصلوات من خمسين إلى خمس، فهذا نفع أجراه الله على يد سيدنا موسى – عليه السلام – عم الأمة المحمدية كلها إلى يوم القيامة.

وأقول: هناك فرق بين إجراء الله النفع على يد مَنْ هو في الحياة البرزخية للأحياء كنصيحة موسى لمحمد - عليهما الصلاة والسلام - هذا فضلاً عن إقرار الله له، ولو كان محرماً ما أقره الله على ذلك، هناك فرق بين هذا، وبين التوسل بذوات المخلوقين، ولم يقم الدليل النقلي أو العقلي على صحته.

وقد ذكر من قبل أن الدين لا يؤخذ بالقياس ولو جاز أخذه بالقياس لكان مسح أسفل الخفين أولى من مسح ظاهرهما هكذا أخبر علي - رضي الله عنه.

فلا يقاس التوسل بذوات المخلوقين على اتصال بعض الموتى بالأحياء عن طريق الرؤيا وتفضل الله على الأحياء عن طريق الموتى في الحياة البرزخية.

وقد تم اتصال بعض الموتى بالأحياء ووصوهم بوصية لينتفعوا بها، ومع هذا فلم يعده واحد من الصحابة أنه من قبيل التوسل بذوات المخلوقين.

يقول المؤلف صـ٣٨: فصل في دراسة بعض النصوص القرآنية الدالة على جواز الاستمداد ووقوعه وذكر بعض قواعد العقائد في ذلك:

النص الأول: قال الله تعالى: ﴿ إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ ﴿٩﴾ ﴾[1].

وفي هذا النص بيان أن الصحابة - رضوان الله عليهم - استغاثوا بالله

(١) سورة الأنفال، الآية: ٩.

سبحانه فاستجاب لهم فأغاثهم، وأمدهم بألف من الملائكة – عليهم السلام – والملائكة من جنود الله تعالى يمدهم بحوله وقوته، ويمد بهم من يشاء من عباده.

والذي يمد الملائكة وهو الله تعالى قدرته قابلة من حيث التعلق أن يمد بها من شاء من عباده، وأن يمد بهم غيرهم؛ لأن الخلق جميعاً سواء من حيث الإمكان والحدوث وجواز تعلق صفات الله تعالى بهم.

وأقول: صحيح إن قدرة الله لا حدود لها ومن آثار قدرته جل وعلا أن يمد بها من يشاء من عباده، وأن يجعلهم سبباً في عون غيرهم لكن بشرط أن يكون خلقه الذين يمد بهم ويعين غيرهم أن يكونوا أحياء، أما إذا ماتوا فقد انقطعت الصلة بهم، قال تعالى: ﴿ وَمَا يَسْتَوِي ٱلْأَحْيَآءُ وَلَا ٱلْأَمْوَٰتُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُسْمِعُ مَن يَشَآءُ ۖ وَمَآ أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِى ٱلْقُبُورِ ﴿٢٢﴾ ﴾ (١)، ولم يرد نقل صحيح أن أحداً استغاث بالموتى من أنبياء ومرسلين وصالحين ولو تم ذلك لاشتهر وتواتر لقيام المقتضي وهو شدة الحاجة إلى ذلك. وثبت أن لا ملجأ إلا الله تعالى قال عز وجل: ﴿ أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾ ﴾ (٢).

وقال ﷺ: «**إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له**» فلم يرد عنه ﷺ أن من استغاث بالميت يغيثه، فليرجع المستغيث إلى الأصل وهو: اللجوء إلى الحي الباقي الذي لا يموت: مصدر العطاء والمنع .. ﴿ مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ

(١) سورة فاطر، الآية: ٢٢.

(٢) سورة النمل، الآية: ٦٢.

لَهَا ۖ وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢﴾ [1].

ويقول المؤلف صـ٣٨: ومَنْ الذي أوجب على الله تعالى أن يمد الملائكة ويمد بهم فقط، ولا يمد بالأنبياء والأولياء والصالحين؟ مع العلم: أن الجميع حولهم وقوتهم بالله سبحانه وتعالى وما التفريق بين الملائكة والأنبياء والأولياء إلا من قبيل التفريق بين المتماثلين ولا يقوله أحد من المحققين.

وقد ثبت في الحديث القدسي الصحيح: قول الله تعالى «ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه وبصره ولسانه ويده ورجله، ولئن سألني لأعطينه، ولئن استعاذ بي لأعيذنه» [2].

أليس هذا نصاً أن الله يمد أحبابه وأصفياءه بإمداد خاص يكونون به عنده كبعض ملائكته؟

وأقول: هدانا الله وإياك وسائر المسلمين يا شيخ عبدالهادي. وأسألك هل هناك تماثل بين الملائكة، والأنبياء، والأولياء؟ ومَنْ هم المحققون الذين لا يقولون بذلك؟

إن الملائكة مخلوقون من نور كما في الحديث «خلقت الملائكة من نور، وخلق الجان من نار، وخلق آدم مما وصف لكم» [3] أي: من طين.

---

(١) سورة فاطر، الآية: ٢.

(٢) رواه البخاري.

(٣) صحيح مسلم، ح٢٩٩٦، المسند: ٦/ ١٥٣، صحيح ابن حبان، ح ٦١٥٥ من حديث عائشة – رضي الله عنها.

والملائكة ﴿ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ﴾ [١]، ﴿ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾ [٢]، ﴿ يُسَبِّحُونَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ﴿٢٠﴾ ﴾ [٣]، لا يأكلون ولا يشربون ولا ينامون ولا يتناسلون وعلى سبيل الإجمال: لا يشبهون البشر لا في أصل خلقهم ولا في أعمالهم ولا يموتون إلا بعد النفخ في الصور.

والأنبياء: خيرة البشر، اختارهم الله لحمل الرسالة إلى البشر وهم معصومون من المعاصي والذنوب، لا يأمرون إلا بالمعروف ولا ينهون إلا عن المنكر، فإذا ماتوا انقطعت صلتهم بالخلق، ولا يجوز التوسل بهم بعد مماتهم بل يجب أن يسير المكلفون على سنتهم وشريعتهم، وعطاء الله لا حدود له لكنه لا يعارض الأمور القدرية، فمن الأمور القدرية الكونية: أن البشر لا يصيرون كالملائكة – عليهم السلام – مهما اجتهدوا في الطاعة أو أمرهم الله عز وجل.

يقول المؤلف صـ٤٠: قال تعالى: ﴿ إِذْ يُوحِى رَبُّكَ إِلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ أَنِّى مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۚ سَأُلْقِى فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلرُّعْبَ فَٱضْرِبُوا۟ فَوْقَ ٱلْأَعْنَاقِ وَٱضْرِبُوا۟ مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ ﴿١٢﴾ ﴾ [٤].

في هذا النص: أن الله تعالى أمد ملائكته بمعية خاصة، وأمرهم لوجوده

---

(١) سورة الأنبياء، الآية: ٢٦.

(٢) سورة التحريم، الآية: ٦.

(٣) سورة الأنبياء، الآية: ٢٠.

(٤) سورة الأنفال، الآية: ١٢.

هذا الإمداد الإلهي لهم: أن يثبتوا الذين آمنوا .. وفيه أنه أسند التثبيت إليهم مجازاً؛ لأن الله تعالى هو المثبت الحقيقي، فلو أن رجلاً مؤمناً قال: «يا ملائكة الله ثبتوني» أو: قال: «اللهم ثبتني بملائكتك» لا يكون مشركاً لأنه يعلم حق العلم أن تثبيتهم له حاصل بمعية الله تعالى التي لهم وبأمر إلهي موجه إليهم.

ومن المعلوم في العقيدة: أن خواص البشر – وهم الأنبياء والرسل – عليهم السلام – أفضل عند الله تعالى من خواص الملائكة – عليهم السلام وإذا ثبتت فضيلة للملائكة نصاً فهي ثابتة لمن هو فوقهم وأعلى منهم رتبة ومنزلة من باب أولى.

فيكون للأنبياء والمرسلين من المعية الإلهية والتأييد الإلهي الثابت لهم بصفة الاختصاص ما يثبت به الله تعالى كل من آمن بهم في حياتهم الدنيوية أو البرزخية على حد سواء.

ولو أن مؤمناً طلب من الله أن يثبته بنبيه وأن يمده به لم يكن بذلك مشركاً كما توهم بعضهم.

وأقول: هذا تلبيس على الناس أمور دينهم، فإذا كان الأنبياء والمرسلون – عليهم السلام – سبب هداية وقرب من الله عز وجل وتثبيت للتابعين لهم، فإن هذا مسلم في حال حياتهم، أما بعد وفاتهم فقد انقطعت صلتهم بالأحياء ولا يستطيعون أن ينفعوهم أو يضروهم، قال عز وجل: ﴿ وَمَا يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ ﴿١٩﴾ وَلَا ٱلظُّلُمَٰتُ وَلَا ٱلنُّورُ ﴿٢٠﴾ وَلَا ٱلظِّلُّ وَلَا ٱلْحَرُورُ ﴿٢١﴾ وَمَا يَسْتَوِى ٱلْأَحْيَآءُ وَلَا ٱلْأَمْوَٰتُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُسْمِعُ مَن يَشَآءُ ۖ وَمَآ أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِى ٱلْقُبُورِ ﴿٢٢﴾ ﴾[1].

---

(١) سورة فاطر، الآيات: ١٩-٢٢.

ومن ناداهم أو استغاث بهم بعد مماتهم فقد أشرك مع الله غيره، ولا يقبل من الأعمال إلا ما كان خالصاً لوجهه – جل شأنه ولا إله غيره.

يقول المؤلف: صـ٤٢: قال تعالى: ﴿ وَإِن يُرِيدُوٓاْ أَن يَخۡدَعُوكَ فَإِنَّ حَسۡبَكَ ٱللَّهُۚ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَيَّدَكَ بِنَصۡرِهِۦ وَبِٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٦٢﴾ ﴾[1].

فالنص ظاهر في أن المؤيد هو الله تعالى والمؤيد هو رسول الله ﷺ والمؤيد بهم هم المؤمنون ومعنى قوله تعالى ﴿ فَإِنَّ حَسۡبَكَ ٱللَّهُۚ ﴾ أي: كافيك الله، فهو يتولى كفايتك وحياطتك.

فالذي يؤيد بالمؤمنين، ويعز بهم دينه ويفتح على أيديهم، يؤيد بسادات المؤمنين من الأولياء والصديقين والأنبياء والمرسلين، والذين لا فرق في إمداد الله لهم بين حياتهم الدنيوية وحياتهم البرزخية.

وأقول: إن المؤلف يستخدم الأقيسة الفاسدة في استدلالاته، إذ أن من المعلوم: الفرق البيّن بين حياة المذكورين من مؤمنين وأنبياء ومرسلين – عليهم السلام – وبين وفاتهم وانتقالهم من الحياة الدنيوية إلى الحياة البرزخية، وهم في حياة التكاليف (الدنيوية) يستطيعون بمشيئة الله جل وعلا أن يكونوا سبباً في هداية الآخرين وإمداد الله تعالى بهم من يشاء من خلقه، أما في حياتهم البرزخية فقد انقطع وقت العبادات والعمل وبدأ وقت تحصيل الثمرة والجزاء، ولا صلة لهم بأهل الدنيا (وقت التكاليف والأعمال).

وأهل القرون الثلاثة المفضلة من صحابة وتابعين وأتباع التابعين: أعلم الناس بدينهم وما يجوز فعله وما لا يجوز، وما يمكن حصوله على يد الموتى وما لا يمكن.

---

(١) سورة الأنفال، الآية: ٦٢.

ولو كان شيء من ذلك جائزاً أو ممكناً لتوجهوا إلى الله جل وعلا وسألوه أن يمدهم برسول الله ﷺ أو بصحابته خاصة من رزقهم الله الشهادة في سبيله، وقد توالت عليهم النكبات والبلايا كالفتنة الكبرى وموقعة الجمل وصفين وأيام الحرة، ومع ذلك لم ينقل ولم يصح عنهم أنهم توجهوا إلى صاحب القبر الشريف وسألوه شيئاً أو سألوا أحداً من شهداء الصحابة – رضي الله عنهم – فدل ذلك على أنه أمر غير شرعي ولا يمكن الوقوع من الناحية العقلية.

وقال المؤلف صـ٤٥: «قال الله تعالى مخاطباً سيدنا عيسى بن مريم – عليه السلام – ومخبراً عنه: ﴿إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ﴾ (١)، ﴿وَأَيَّدْنَـٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ﴾ (٢).

فالمؤيد هو الله سبحانه وتعالى والمؤيد هو: عيسى بن مريم – عليه السلام – والمؤيد به هو: روح القدس سيدنا جبريل – عليه السلام – فالذي يؤيد بجبريل وهو روح وغيب، ومن عالم اللطائف النورانية، يؤيد بسيدنا محمد – بعد انتقاله إلى حياة البرزخ؛ لأنه بتجرده عن جسمه المادي الملكي رجع إلى حقيقته وهي روح وغيب!! ومن عالم اللطائف النورانية فهو في برزخية كجبريل بل هو أفضل منه إجماعاً.

ويؤيد الله بمن شاء من أهل البرزخ من أنبياء وأولياء بعد تجردهم عن المادة الأرضية كما أيد بجبريل وبملائكته المجردين عن المادة الأرضية وأقول:

---

(١) سورة المائدة، الآية: ١١٠.

(٢) سورة البقرة، الآيتان: ٨٧، ٢٥٣.

هذا الكلام خلط المؤلف فيه الحق بالباطل ولا يؤيده شرع ولا عقل، وإنا لنسأل المؤلف: لِمَ لم تذكر حالة واحدة أيد الله فيها أحداً بسيدنا محمد ﷺ بعد وفاته؟

لِمَ لمْ يؤيد الله تعالى الحسين بن علي – رضي الله عنه – حين مقتله بجده ﷺ حتى ينتصر على أعدائه؟

ولِمَ لم يؤيد الله تعالى عبدالله بن الزبير – رضي الله عنهما – بمحمد ﷺ حتى يفلت من القتل والصلب؟ ولِمَ لم يؤيد الله تعالى عثمان بن عفان – رضي الله عنه – بمحمد ﷺ حتى ينجو من القتل يوم الدار؟

ولَمِ لَمْ يطلب أهل البلايا من الصحابة والتابعين لهم بإحسان من النبي ﷺ أن يمدهم بإذن الله ومشيئته حتى ينجوا مما حَلَّ بهم؟!!

ولم تزل النكبات حالة بالمسلمين إلى هذا اليوم الذي نعيشه لحكم يعلمها الله عز وجل ولو كان التأييد الذي يتحدث عنه المؤلف ومن يقتنع بكلامه شيئاً واقعاً ما نزل بالمسلمين ما حل بهم وما دالت دولهم ولظلت الخلافة الإسلامية باقية، فما جواب المؤلف؟! ولا أراه يجد جواباً شافياً!!

ويقول المؤلف صـ٤٩: «والنصوص كلها عامة التعلق بالمؤمنين في جميع البرازخ في الدنيا وفي الآخرة .. لأن المؤمنين لم يسلب عنهم وصف الإيمان بانتقالهم إلى البرزخ فيكون بين المؤمنين من أهل البرزخ ولاية للمؤمنين في الدنيا؟ ويكون للملائكة ولاية لجميعهم. وولاية المؤمنين والملائكة مظهر ولاية الله تعالى لعباده المؤمنين التي تفضل بها عليهم من الأزل وإلى ما لا نهاية له من الأبد.

يقول الله تعالى: ﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾ [١] ويقول جل شأنه: ﴿ وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾ [٢].

فمن قال: يا أوليائي من ملائكة الله ومن عباده المؤمنين انصروني وأيدوني لم يكن مشركاً، بل كان عاملاً بالنصوص القرآنية القطعية وذلك كمال الإيمان.

وأقول: قد سبقت الإشارة مراراً إلى أن المؤلف دائماً يقرن بين المؤمنين الأحياء وبين المؤمنين الذين ماتوا!! في وجود ولايتهم للمؤمنين ولا أدري هل نسي المؤلف أم تناسى الفرق بين حياة الدنيا المرتبطة بالتكاليف الشرعية وبين حياة البرزخ التي هي أول مراحل الآخرة وفيها الجزاء على الأعمال.

وقياس المؤمنين الموتى على المؤمنين الأحياء هذا قياس فاسد لا يصلح في موطن الاستدلال على أن طلب التأييد من الموتى جائز شرعاً، فهم لا يسمعون سؤال الأحياء ذلك وإن سمعوا لا يستجيبون فقد انقطعت صلتهم بالأحياء من أهل الدنيا، لأنهم في دار التكليف والموتى في حياة البرزخ وهي أول مراحل الآخرة (دار الجزاء).

قال تعالى: ﴿ وَمَا يَسْتَوِى ٱلْأَحْيَآءُ وَلَا ٱلْأَمْوَٰتُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُسْمِعُ مَن يَشَآءُ ۖ وَمَآ أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِى ٱلْقُبُورِ ﴿٢٢﴾ ﴾ [٣].

---

(١) سورة المائدة، الآية: ٥٥.

(٢) سورة المائدة، الآية: ٥٦.

(٣) سورة فاطر، الآية: ٢٢.

يقول المؤلف صـ٥٠: «قال الله تعالى عن عباده الأبرار والمقربين: ﴿ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ ﴾ (١).

عنديَّة الله تعالى منزهة عن الزمان والمكان؛ لأنهما لا يجريان عليه – سبحانه وتعالى – بل هما ظرفان حادثان للمظروف الحادث. فكل من كان من عباد الله المحبوبين كانت له عنديَّة الله وهي معيته وتأييده وكان له ما يشاء، سواء كان حياً حياة دنيوية أو برزخية أو أخروية.

وأقول: إن المؤلف – غفر الله لنا وله ولسائر المسلمين – يحاول جاهداً أن يُقرن بين المؤمنين الذين في حياتهم الدنيا وبين المؤمنين الذين ماتوا وانتقلوا إلى الحياة البرزخية.

مع أن قياس حالة من هو في الحياة البرزخية على مَنْ هو في الحياة الدنيا قياس فاسد؛ لأن من مات فقد انقطع عن الحياة الدنيا فهي دار العمل ودخل دار الجزاء، فإذا استغاث به الأحياء فإنه لا يسمعهم لصريح قوله تعالى: ﴿ وَمَا يَسْتَوِى ٱلْأَحْيَآءُ وَلَا ٱلْأَمْوَٰتُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُسْمِعُ مَن يَشَآءُ ۖ وَمَآ أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِى ٱلْقُبُورِ ﴿٢٢﴾ ﴾ (٢).

ومع هذا فالمؤلف مُصر على القول بالاستغاثة بالأموات فهل هو أكرم من رب العالمين؟

إن الله عز وجل قد أخبرنا بأن الأحياء والأموات لا يستوون لا في

---

(١) سورة الزمر، الآية: ٣٤.

(٢) سورة فاطر، الآية: ٢٢.

العمل ولا في الجزاء وأن النبي ﷺ مع أنه أفضل الخلائق أجمعين لا يُسمع من في القبور فهل يستطيع غير الرسول ﷺ أن يُسمع مَنْ في القبور ويطلب منهم العون والمدد وأن يستغيث بهم ﴿إِنْ هَٰذَآ إِلَّا ٱخْتِلَٰقٌ﴾ (١).

يقول المؤلف صـ٥٣: فصل في دراسة بعض الأحاديث النبوية الدالة على جواز الاستغاثة والاستعانة بإمداد الله تعالى الذي أمد به جميع خلقه:

أخرج الإمام البخاري – رحمه الله تعالى – في صحيحه عن عبدالله بن عمر – رضي الله عنهما – أن النبي ﷺ قال: «إن الشمس تدنو يوم القيامة حتى يبلغ العرق نصف الأذن، فبينما هم كذلك استغاثوا بآدم ثم بموسى ثم بمحمد ﷺ» .. الحديث.

فالحديث يدل على أن أهل الموقف كلهم أجمعوا على الاستغاثة بالأنبياء – عليهم السلام – وذلك بإلهام من الله تعالى لهم وهو دليل على ندب التوسل والاستغاثة بهم في الدنيا والآخرة، وقد أجيبوا بعد هذه الاستغاثة. وهذا أدل دليل أن الاستغاثة عند الشدائد بأكابر المقربين من أعظم مفاتيح الفرج، ومن أسباب – رضى رب العالمين.

ولو كانت هذه الاستغاثة بالأنبياء والمرسلين نوعاً من أنواع الشرك لحكم على جميع أهل الموقف بالشرك، ولكانوا مستوجبين لغضب الأنبياء والمرسلين، ولكان على الأنبياء ألا يغيثوهم، بل يقولوا لهم: استغيثوا بالله.

---

(١) سورة ص، الآية: ٧.

والواقع يومئذ خلاف ذلك، فقد أغاثهم الأنبياء والمرسلون – عليهم السلام – على رغم أنوف المنكرين، فلم يكن ذلك من الشرك في شيء أبداً.

وأقول: إن المؤلف غفر الله لنا وله ولسائل المسلمين أثار قضية ليست محل نزاع، بل ظن أن هذا الكلام الذي ذكره سيكون مطية للقول بأن التوسل والاستغاثة بالأموات جائز شرعاً بل هو من فضائل الأعمال!! وهذا لن يكون إلا عند من يقول: إن الباطل مع كثرة الجدال سيكون حقاً أو أن الحق مع التشويش عليه سيكون تشدداً وعناداً ﴿ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴿٤٣﴾ ﴾ (١).

إن التوسل والاستغاثة – الشفاعة – بالأنبياء والمرسلين ثابتة في الصحاح عن المعصوم ﷺ؛ لأن الله قد أذن فيها ورضي بها وقال الشفيع صواباً، وهذا ما جاء ذكره في القرآن صراحة ﴿ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَىٰ وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾ (٢).

وقال جل وعلا: ﴿ ۞ وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِي السَّمَاوَاتِ لَا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا إِلَّا مِن بَعْدِ أَن يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَن يَشَاءُ وَيَرْضَىٰ ﴿٢٦﴾ ﴾ (٣). وقال تبارك وتعالى: ﴿ يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا لَّا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَٰنُ وَقَالَ صَوَابًا ﴿٣٨﴾ ﴾ (٤).

---

(١) سورة الإسراء، الآية: ٤٣.

(٢) سورة الأنبياء، الآية: ٢٨.

(٣) سورة النجم، الآية: ٢٦.

(٤) سورة الأنبياء، الآية: ٣٨.

ونريد أن نقول للمؤلف: مَنْ الذين أنكر ذلك حتى تشن عليه دعوى باطلة لا أساس لها من الصحة؟!

يقول المؤلف صـ٥٤: عن عتبة بن غزوان – رضي الله عنه – عن النبي ﷺ قال: «**إذا ضل أحدكم شيئاً أو أراد عوناً وهو بأرض ليس بها أنيس فليقل: يا عباد الله أغيثوني وفي رواية أعينوني، فإن لله عباداً لا ترونهم**»[(١)].

فهذا دليل الحديث صريح في جواز الاستغاثة والنداء لمن لا نراهم من عباد الله تعالى ويدخل فيهم الأحياء حياة برزخية ممن لهم الرَّوح فيروحون حيث شاءوا وقد تقدم ما يدل على ذلك.

وأقول: قد حاول المؤلف كثيراً أن يُدخل مَنْ هم في الحياة البرزخية مع مَنْ هم في الحياة الدنيا في الحكم الذي استنبطه من بعض الأحاديث وهو جواز الاستعانة بعباد الله الصالحين وهذا مردود؛ لأن علماء الأصول يقررون: «لا اجتهاد مع النص ..» ﴿وَمَا يَسْتَوِي ٱلْأَحْيَآءُ وَلَا ٱلْأَمْوَٰتُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُسْمِعُ مَن يَشَآءُ ۖ وَمَآ أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِى ٱلْقُبُورِ ﴿٢٢﴾﴾[(٢)].

يضاف إلى ذلك الواقع العملي لأصحاب الرسول ﷺ ففي حروب الردة مثلاً، مات خلق كثير شهداء!! فلِمَ لم يستعينوا برسول الله ﷺ ومن مات من الصحابة كحمزة بن عبدالمطلب، وعبدالله بن رواحة وزيد بن حارثة وجعفر بن أبي طالب ومصعب بن عمير وغيرهم كثير.

---

(١) رواه الطبراني في المعجم الكبير وقال: وقد جُرب ذلك.

(٢) سورة فاطر، الآية: ٢٢.

ولو كان هذا جائزاً لعلمهم إياه معلم الخلق ﷺ ولما تركه صحابة النبي ﷺ الذين كانوا يقتدون به – عليه أفضل الصلاة والسلام – في كل صغيرة وكبيرة حيث علمهم القرآن ذلك: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾ ﴾ [١].

يقول المؤلف صـ٥٦: «وذكر الحافظ ابن كثير – رحمه الله – أن شعار المسلمين في موقعة اليمامة كان «وا محمداه» [٢].

قال بعض المحققين: وإذا جاز السؤال بالأعمال فبالنبي ﷺ أولى لأنه أفضل المخلوقات والأعمال منها، والله أعظم حباله ﷺ من الأعمال وغيرها، وتبين بهذه الأحاديث أنه ليس في ذكر رسول الله ﷺ ولا في ندائه أو الاستغاثة به شيء من الشرك، وإلا لكان أولئك الأئمة من الصحابة وتابعيهم مشركين، حاشاهم من ذلك، بل هم خُلص أهل التوحيد والإيمان ..».

نعم الصحابة – رضي الله عنهم – خُلص أهل التوحيد والإيمان .. لكن ما يجب التنبيه عليه: أن قولهم «وا محمداه» أن الواو للندبة لا لاستغاثة بمن مات ﷺ ولو كانت الاستغاثة به بعد وفاته ﷺ جائزة شرعاً لاستغاثوا به يوم السقيفة وقد كان الصحابة من مهاجرين وأنصار – رضي الله عنهم – على حافة فتنة لا يعلم مداها إلا الله تعالى ولكنهم تشاوروا فيما بينهم حتى استقر رأيهم على مبايعة الصديق – رضي الله عنه – وحسمت الفتنة واستقر الأمر.

---

(١) سورة الأحزاب، الآية: ٢١.

(٢) البداية والنهاية: ٦/ ٣٢٤.

وأما المراد بالندبة فإنهم قصدوا بذلك: أن يذكر بعضهم بعضاً بالمنهج الذي ترك رسول الله ﷺ أصحابه عليه حيث قال: «**عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي، عضوا عليها بالنواجذ**» [1].

يقول المؤلف صـ٥٦: «فإن قيل: هذه الأحاديث ضعفها بعض أهل عصرنا من أدعياء العلم بالحديث وأصوله ..».

فالجواب: ما من حديث منها إلا وقد حسنه بعض أئمة هذا الشأن المعتبرين كما تقدمت الإشارة إليه، ومن ضعفه من هؤلاء الأدعياء فإنما ضعفه بالرأي والهوى لأن هذه الأحاديث مخالفة لبدعته الضلالة فلم يجد سبيلاً إلا تضعيف الحديث.

وعلى تقدير ضعفه فهو محجوج بعمل الأئمة الأعلام به، ومن المعلوم عند المحدثين: أن الحديث الضعيف يتقوى بعمل بعض الأئمة به، ويصير من قسم المقبول إذا تلقته الأمة بالقبول.

وأقول هذا الكلام مردود من وجوه:

١- كون المؤلف يصف الأئمة المحدثين بأنهم أدعياء علم فهذا من باب قول الشاعر: «رمتني بدائها وانسلت».

٢- أن أسلوبه أسلوب فضفاض «.. وقد حسنه بعض أئمة هذا الشأن» فمن هم أئمة هذا الشأن؟ وما المراد بالشأن؟ هل هو التمسح

---

(١) المسند ٤/ ١٢٦، سنه ابن ماجة، ح٤٢، سنه أبي داود، ح٤٦٠٧.

بالقبور والأموات؟ أو علوم السنة النبوية؟ ومن هم بالتحديد؟ اذكر علماً واحداً ممن ضعف هذه الأحاديث بالهوى، وهل المحافظة على التوحيد والتخلص من أي شبهة تسمى بدعة؟

وعمل الأئمة الأعلام لا يقوي الحديث الضعيف، بل الذي يقويه:

- ألا يكون الضعف شديداً.
- ألا يكون في العقائد.
- أن تكون هناك رواية أخرى تقوي هذا الحديث فيرقى إلى الحسن لغيره والأحاديث المذكورة في هذا الشأن: أحاديث في العقيدة؛ لأنها تدور حول جلب النفع أو دفع الضر أو تأمين خائف إلخ.

والسؤال الذي يفرض نفسه على المؤلف ولا مناص من طرحه عليه هو: ما الداعي إلى ترك التوجه إلى الله تعالى عملاً بقوله جل شأنه: ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾ [1]، ثم نتوجه إليه عن طريق أحد من خلقه ودليلنا في هذه الحالة حديث ضعيف؟! والقاعدة الشرعية ناطقة: «ما لا يحتاج إلى تأويل أولى مما يحتاج إلى تأويل».

يقول المؤلف صـ٥٧: «فإن قيل: ما معنى الجاه الذي يتوسل به إلى الله تعالى»؟

فالجواب: الجاه هو المنزلة التي يختص الله بها من شاء من عباده. فالله

(١) سورة غافر، الآية: ٦٠.

سبحانه وتعالى متصف بصفة تسمى صفة الاختصاص، قال عز وجل: ﴿ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ ﴾ (١).

والنبوة والرسالة والولاية الخاصة ليست مكتسبة، بل هي محض فضل إلهي واجتباء واختصاص رباني يكون بسببها لذلك العبد منزلة عند الله تعالى تسمى الجاه.

قال عز وجل في صفة الاجتباء: ﴿ ٱللَّهُ يَجْتَبِىٓ إِلَيْهِ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِىٓ إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ ﴾ (٢). وقال سبحانه في إثبات الجاه والوجاهة والمكانة لبعض أنبيائه وملائكته – عليهم السلام – النصوص التالية:

١- قال في حق سيدنا عيسى – عليه الصلاة والسلام: ﴿ وَجِيهًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ وَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴾ (٣).

٢- وقال في حق سيدنا موسى – عليه الصلاة والسلام: ﴿ وَكَانَ عِندَ ٱللَّهِ وَجِيهًا ﴾ (٤). أي: ذا وجاهة.

٣- وقال عن سيدنا جبريل – عليه السلام: ﴿ ذِى قُوَّةٍ عِندَ ذِى ٱلْعَرْشِ مَكِينٍ ﴿٢٠﴾ ﴾ (٥)، أي: صاحب مكانة.

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ٧٤.

(٢) سورة الشورى، الآية: ١٣.

(٣) سورة آل عمران، الآية: ٤٥.

(٤) سورة الأحزاب، الآية: ٦٩.

(٥) سورة التكوير، الآية: ٢٠.

ومن المقطوع به: أنه إذا ثبتت فضيلة لنبي أو ملك، ثبت مثل ذلك لجميع الأنبياء – عليهم السلام – لأنهم خواص البشر وهم أفضل من خواص الملائكة.

فالإنسان عندما يتوسل إلى الله تعالى بجاه نبي أو ولي فإن ذلك يعني أنه توسل إلى الله تعالى بفعل من أفعاله خلقه لذلك النبي سماه جاهاً، وبصفة من صفاته سماها اختصاصاً، وهذا من التوسل إلى الله تعالى بفعل من أفعاله خلقه لذلك النبي سماه جاهاً، وبصفة من صفاته سماها اختصاصاً وهذا من التوسل إلى الله تعالى بصفاته وبأفعاله، وهو مجمع على جوازه عند أهل الحق.

وأقول: لم لم يؤثر عن النبي ﷺ وهو القدوة الحسنة أنه توسل إلى الله عز وجل بجاه أحد من المرسلين خاصة أولي العزم – عليهم الصلاة والسلام؟

وغير خاف على أحد من العقلاء أن محمداً ﷺ لم ير باباً من الخير إلا أمرنا به وحضنا عليه ورغبنا فيه، ولم ير باباً من التقصير أو الشر إلا حذرنا منه ونهانا عنه.

وقد ذكر المؤلف الإجماع على أن التوسل بجاه أحد من الأنبياء أو المرسلين أو الأولياء جائز شرعاً فأين المرجع الذي وجد فيه الإجماع حتى يمكن الاطلاع عليه والتأكد منه ثم العمل به؟ ولِمَ أضاف الأولياء – وهم غير معصومين – إلى الأنبياء والمرسلين – وهم معصومون – عليهم الصلاة والسلام؟

يقول المؤلف صـ٥٩: فإن قيل: كيف نوفق بين هذه الأدلة المتقدمة وبين

حديث النبي ﷺ الذي رواه الطبراني – رحمه الله تعالى مرفوعاً: «إنه لا يستغاث بي وإنما يستغاث بالله»؟

أجاب بعض أهل العلم المحققين – جزاه الله خيراً – بقوله: إن المراد هو: إثبات حقيقة التوحيد في أصل الاعتقاد، وهو أن المغيث – حقيقة – هو الله تعالى والعبد ما هو إلا واسطة في ذلك.

يقول المؤلف: هذا الحديث لا يُعارض الأحاديث الدالة على جواز التوسل والاستغاثة، وإنما فيه بيان أنه لا تأثير للنبي ﷺ في شيء من المقادير التي يُجريها الله تعالى على يديه في حياته الدنيوية والبرزخية؟

وقد أنزل الحق تعالى نفسه منزلة عبده ورسوله محمد ﷺ في كثير من الآيات القرآنية كقوله تعالى: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ﴾ (١). وقوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾ (٢).

وهذا الحديث متوافق مع تلك الآيات في بيان أن النبي ﷺ حوله وقوته بالله تعالى وعندما حمل النبي ﷺ الأشعريين – رضي الله عنهم – قال لهم: «**ما حلمتكم وإنما حملكم الله تعالى**».

وأقول: إن المؤلف مُصرّ على الربط بين الحياة الدنيوية والبرزخية مع أنه لا تلازم بينهما، فالدنيا دار التكليف والعمل والبرزخ: أول منازل الآخرة، وهي دار الجزاء. كما أن الأموات لا يسمعون دعاء الأحياء أو الاستغاثة بهم،

---

(١) سورة النساء، الآية: ٨٠.

(٢) سورة الفتح، الآية: ١٠.

وإن سمعوا لا يستطيعون الجواب، إذ عندهم ما يشغلهم من نعيم الآخرة أو عقابها.

قال جل وعلا: ﴿ وَمَا يَسْتَوِي ٱلْأَحْيَآءُ وَلَا ٱلْأَمْوَٰتُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُسْمِعُ مَن يَشَآءُ ۖ وَمَآ أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِى ٱلْقُبُورِ ﴿٢٢﴾ ﴾ (١).

وقول المؤلف في الفقرة السابقة: وقد أنزل الحق تعالى نفسه منزلة عبده ورسوله، فهذا كلام تقشعر منه الجلود المؤمنة، وصواب العبارة أن يقول: جعل الله طاعة الرسول طاعة لله، وجعل مبايعة الصحابة للرسول ﷺ مبايعة له جل وعلا.

يقول المؤلف: مسألة في حكم التبرك بآثار النبي ﷺ والصالحين من عباد الله تعالى.

سؤال صـ٦١: هل يجوز التبرك بآثار النبي ﷺ بعد انتقاله إلى البرزخ؟ وهل يجوز التبرك والاستشفاء بآثار الصالحين؟

الجواب: نعم، يجوز ذلك كله، ويشهد له قوله تعالى حكاية عن سيدنا يوسف – عليه الصلاة والسلام: ﴿ ٱذْهَبُوا۟ بِقَمِيصِى هَٰذَا فَأَلْقُوهُ عَلَىٰ وَجْهِ أَبِى يَأْتِ بَصِيرًا ﴾ (٢).

وذكر بعد ذلك بعض الأحاديث والحكايات ليصل بها من خلال معتقده إلى جواز التمسح بقبور الصالحين وآثارهم التماساً للبركة.

---

(١) سورة فاطر، الآية: ٢٢.

(٢) سورة يوسف، الآية: ٩٣.

وأقول: إن كلامه مردود بما يلي:

١- أن استدلاله بقوله تعالى حكاية عن يوسف - عليه السلام: ﴿ اذْهَبُوا بِقَمِيصِي هَذَا فَأَلْقُوهُ عَلَىٰ وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيرًا ﴾ على أنه يجوز التبرك بآثار النبي ﷺ بعد انتقاله إلى البرزخ، وهذا استدلال غير صحيح، لأن يوسف - عليه السلام - حينما أرسل القميص كان في حياته الدنيا أي دار العمل والقميص كان معجزة له من الله جل وعلا.

أما بالنسبة لمن مات من الأنبياء والمرسلين - عليهم الصلاة والسلام - وسائر الصالحين فهم في حياة البرزخ وهي أولى مراحل الآخرة (دار الجزاء) وقد انقطعت صلتهم بأهل الدنيا فلا يجوز نداؤهم ولا الاستغاثة بهم ولا التبرك بآثارهم ولا التمسح بقبورهم؛ لأن هذا مدخل وطريق إلى الوثنية كما حدث من بعد نوح - عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام.

وذلك أنهم لما اتخذوا التماثيل على هيئتهم ما اتخذوها - في بادئ الأمر - للعبادة ولكن لتذكرهم بهؤلاء الصالحين الذين ماتوا فكانوا لوفاتهم في أسى شديد وحزن عميق، وبتعاقب السنين وكر القرون عبدوا هذه التماثيل من دون الله تعالى.

٢- أنه لم يؤثر عن أحد ممن أُمرنا بالتأسي بهم بعد رسول الله ﷺ كالخلفاء الراشدين والعبادلة الأربعة والعشرة المبشرين بالجنة، لم ينقل عن واحد منهم أنه استغاث بالرسول ﷺ بعد وفاته أو تمسح بقبره أو طلب منه عوناً.

٣- أن الفاروق عمر – رضي الله عنه – الذي كان يفر منه الشيطان لتقواه لله رب العالمين ولقوته في الحق، أمر بالشجرة التي بايع النبي ﷺ أصحابه تحتها على الجهاد فقطعت لما خشي عليهم الفتنة بسببها، ولو كان التمسح بها وبمثلها مشروعاً لكان عمر – رضي الله عنه – أول من يقتدي بالرسول ﷺ في ذلك.

٤- أن الصحابة – رضي الله عنهم – في إحدى الغزوات لما عثروا على سرير النبي دانيال – عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام – وكان على السرير جثمانه وعلموا أن أهل تلك البلاد كانوا يستسقون بهذا الجثمان على سريره فكانوا يسقون ويتبركون به فحفر الصحابة – رضي الله عنهم ثلاثة عشر قبراً ثم دفنوه ليلاً في أحدها تعمية على الناس حتى لا يعرفوا قبره فيتمسحون به ويتبركون، ولو كان التمسح بالقبور والتبرك بها حائزاً لبادر الصحابة – رضي الله عنهم – إلى هذا الفعل، وكان من الممكن أن يتركوا جثمان دانيال – عليه السلام – بلا دفن، أما وقد فعلوا ما فعلوا فهذا دليل على حفاظهم على التوحيد بلا شائبة شرك أو ثنية.

يقول المؤلف صـ٦٥: جاء في كتاب «الحكايات المنثورة» للإمام الحجة: ضياء الدين المقدسي – رحمه الله تعالى – قال: «سمعت الشيخ الإمام أبا محمد عبدالغني بن عبدالواحد المقدسي يقول: خرج في عضدي شيء يشبه الدمل وكان يبرأ ثم يعود، ودام بذلك زماناً طويلاً، فسافرت إلى أصبهان وعدت إلى

بغداد وهو بهذه الصفة فمضيت إلى قبر الإمام أحمد بن حنبل – رضي الله عنه وأرضاه – ومسحت به القبر فبرأ ولم يعد».

جاء الإمام السبكي – رحمه الله تعالى – لزيارة الإمام النووي – رحمه الله تعالى – فوجده قد توفي فأتى إلى دار الحديث وسأل عن مكان جلوس الإمام النووي، فدُلَّ عليه فصار يمرغ وجهه ولحيته عليه وأنشد:

وفي دار الحديث لطيف معنى ... أُصلي في جوانبها وآوي

لعلي أن أمس بُحرِّ وجهي ... مكاناً مَسَّة قدم النواوي

وأقول: في هاتين الفقرتين: دعوة صريحة إلى التمسح بالقبور وانتظار النفع منها ومن أصحابها .. وهذا أمر قد نهى عنه الإسلام.

فقد نهى النبي ﷺ سلمان الخير – حينما أراد أن يسجد بين يديه تعظيماً وتكريماً كما تفعل الأعاجم بملوكها، فقال: «**يا سلمان لا تسجد لي ولكن اسجد للحي الذي لا يموت**».

وإنا لنتساءل أيها العقلاء: دلونا على واحد من الصحابة أو التابعين تمسح بقبر النبي ﷺ أو بقبر واحد من الصحابة – رضي الله عنهم.

***

تحميل كتب و رسائل علمية
قناة عامة
معلومات
t.me/tahmilkutubwarosaililmiyah
رابط الدعوة
الإشعارات
معطّلة

الخاتمة

عودوا أيها العقلاء إلى التوحيد الخالص فإنه أصل الإيمان واعملوا عملاً صالحاً تبتغون به وجه الله تبارك وتعالى يقول الحق جل وعلا: ﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾ ﴾ (١).

وأخشى ما نخشاه أن يقع كثير من المؤمنين في الشرك من حيث لا يشعرون، قال عز من قائل: ﴿ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴾ (٢).

ومن أراد أن يقف على حقيقة الإيمان في قلبه وجوداً وعدماً فليقرأ قوله تعالى: ﴿ مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ۖ وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢﴾ ﴾ (٣).

نسأل الحي القيوم – بديع السموات والأرض – ذا الجلال والإكرام أن يرزقنا صادق الإيمان خالياً من الشرك وأن يميتنا على الإسلام كما قال يوسف الصديق – عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام: ﴿ ۞ رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِى مِنَ ٱلْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِى مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ ۚ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَنتَ وَلِيِّۦ فِى ٱلدُّنْيَا

(١) سورة الكهف، الآية: ١١٠.

(٢) سورة يوسف، الآية: ١٠٦.

(٣) سورة فاطر، الآية: ٢.

وَٱلْأَخِرَةِ تَوَفَّنِى مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِى بِٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠١﴾ ﴾[1].

وصلى الله وسلم وبارك على معلم الناس التوحيد والخير وعلى آله وصحبه ومن سار على نهجهم إلى يوم الدين.

***

(١) سورة يوسف، الآية: ١٠١.

أهم المصادر والمراجع

- القرآن الكريم.
- المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم لمحمد فؤاد عبدالباقي.
- رياض البيان لمفردات القرآن، للمؤلف.
- تفسير القرآن العظيم لابن كثير.
- الجامع لأحكام القرآن للقرطبي.
- جامع البيان في تأويل آي القرآن للطبري.
- تيسير العلي القدير لاختصار تفسير ابن كثير، لمحمد نسيب الرفاعي.
- صحيح البخاري.
- صحيح مسلم.
- سنن الترمذي.
- سنن النسائي.
- سنن ابن ماجة.
- موطأ مالك.
- مسند الإمام أحمد.
- مسند الحسن بن سفيان.
- سنن الدارمي.
- سنن البيهقي.

- شعب الإيمان للبيهقي.
- سنن الدار قطني.
- المدخل لأبي عبدالله الحاكم.
- سير أعلام النبلاء للذهبي.
- صحيح ابن حبان.
- جامع الأصول لابن الأثير.
- معجم الطبراني الكبير.
- مصنف ابن أبي شيبة.
- صحيح مسلم بشرح النووي.
- تهذيب التهذيب لابن حجر.
- صيانة الإنسان عن وسوسة الشيخ دحلان، للشيخ بشير السهواني الهندي.
- تقريب التهذيب لابن حجر.
- كتاب الموضوعات لابن الجوزي.
- ميزان الاعتدال للذهبي.
- الجرح والتعديل لابن أبي حاتم.
- لسان الميزان لابن حجر.
- نصب الراية للزيلعي.

- مجمع الزوائد للهيثمي.
- عمل اليوم والليلة لابن السني.
- فضائل الأعمال للأصبهاني.
- الأذكار للنووي.
- شرح الأذكار لابن علان.
- الفتاوى الكبرى لابن تيمية.
- قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة لشيخ الإسلام ابن تيمية.
- الصراع بين الإسلام والوثنية للقصيمي.
- إعلام الموقعين عن رب العالمين لابن القيم.
- إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان.
- تبعيد الشيطان بتقريب إغاثة اللهفان.
- شرح العقيدة الطحاوية.
- كتاب التوحيد حق الله على العبيد، لمحمد بن عبدالوهاب.
- قرة عيون الموحدين، لعبدالرحمن بن حسن بن محمد بن عبدالوهاب.
- فتح المجيد بشرح كتاب التوحيد، لعبدالرحمن بن حسن بن محمد بن عبدالوهاب.
- جلاء العينين لخير الدين الحنفي.
- شرح التنوير للعلائي.

- كتاب الكرخي للقدوري.
- تحقيق النصرة بتلخيص معالم دار الهجرة للمراغي.
- الأنساب للزبير بن بكار.
- اللباب في تهذيب الأنساب لابن الأثير.
- السيرة المطولة لابن كثير.
- شرح شواهد المغني للسيوطي.
- وفيات الأعيان لابن خلكان.
- تاريخ الإسلام الكبير للذهبي.
- الصارم المنكي في الرد على السبكي لابن عبدالهادي.
- السيرة النبوية لابن هشام.
- شرح الإحياء للزبيدي.
- خلاصة الوفاء للسمهودي.
- كتاب الشامل لأبي منصور الصباغ.
- شفاء السقام للسبكي.
- الخيرات الحسان لابن حجر المكي.
- الصواعق المحرقة لابن حجر المكي.
- الجوهر المنظم.
- الدر المنظم.

- ذخائر العقبى في مناقب القربى.
- مجمع الأحباب لطاهر بن هاشم باعلوي.
- الفتوحات المكية لابن عربي.
- الدرر السنية في الرد على الوهابية للدحلان.
- صحاح الجوهري.
- القاموس المحيط.
- المصباح.
- مختار الصحاح.

***

الفهرس

المقدمة ٥
بين يدي الكتاب ١١
ما معنى الاستغاثة والاستعانة؟ ١٦
حديث الأعمى وما ورد فيه ٣٧
ما قيل في متن هذا الحديث: ٤٢
أقوال العلماء في سند الحديث ٤٩
الرواية الثانية ٦١
الحكم على متن هذا الحديث: ٦٨
ما قيل عن سند هذا الحديث: ٦٨
الحكم على متن الحديث: ٧٧
ما قاله العلماء في سند الحديث: ٨٠
حكم انفراد الحاكم بالتصحيح: ٨١
الخاتمة ١١٣
أهم المصادر والمراجع ١١٥
الفهرس ١٢٠

***